الجزء ٧ المجلد ١٠

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : تموز سنة ١٩٣٠ م الموافق صفر سنة ١٣٤٩ هـ

المحاضرة الخامسة عشرة

نبوة المتنبي (١)

— ٧ —

مر بكم ان ابا الطيب لما ترعرع وشعر وبرع توفي ابوه ، فالحسين فارق الدنيا وابنه احمد في عنفوان صبوته ، فلنراقب اباالطيب في اول حركة من حركاته بعد ان تم له ماتم من طلب الادب واللغة في البادية والحضر ، فلنتقص اخبار ذلك الامر العظيم الذي ذهب بحقيقة اسمه وجعل له اسماً آخر خالداً على وجه الدهر وهو المتنبيء ، لماذا لقبوه بالمتنبيء هل تنبأ ابوالطيب وكم كان عمره في دعوى النبوءة ، ما هي اقوال رجال التاريخ في هذه النبوة ، هل نسبوا اليه اموراً غيردعوى النبوة ، هل نسبوا اليه انه هم بالخروج او انه ادعى انه علوي ، او انه ادعى غير ذلك ، ما هي معجزاته ، ما هو قرآنه ، ما هي اقواله في نبوته وقرآنه ، هل تهيأ له شيء من اسباب التأثير في عقول الاعراب ، هل صرح في شعره بدعواه ، هل وطّن نفسه للموت وهوفي السجن على نحو اكابرالرجال الذين لا يبالون بما يصيبهم في سبيل مذاهبهم ام اوهن رجليه ثقل الحديد ، فاستغاث واستصرخ .

لماذا لقبوه بالمتنبيء ؟

حكى ابو الفتح عثمان بن جني وابن جني هذا صحب ابا الطيب دهراً طويلاً قال :

---

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبري عضو المجمع العلمي العربي ومدير الكلية المذكورة .

سمعت ابا الطيب يقول انما لقبت بالمتنبي لقولي :

انا في امة تدار كها الله غريب كصالح في ثمود

وفي هذه القصيدة يقول :

ما مقامي بارض نخلة الا كمقام المسيح بين اليهود

فتشبيهه بصالح و بالمسيح مدعاة الى تلقيبه بالمتنبي .

هل تنبأ المتنبي ، و كم كان عمره لما تنبأ ، وماهي اقوال رجال التاريخ في هذه النبوة .

قال ابو عبد الله معاذ بن اسماعيل اللاذقي :

قدم ابو الطيب المتنبي اللاذقية في سنة عشرين وثلاثمائة ، (كان عمره يومئذ سبع عشرة سنة وهو لا عذار له ، وله وفرة الى شحمتي اذنيه ، فاكرمته وعظمته لما رأيت من فصاحته وحسن سمته فلما تمكن الانس بيني وبينه وخلوت معه في المنزل اغتناماً لمشاهدته واقتباساً من ادبه قلت له : والله انك لشاب خطير ، تصلح لمنادمة ملك كبير فقال : و يحك اتدري ما تقول ؟ انا نبي مرسل ، فظننت انه يهزل ثم تذكرت اني لم اسمع منه كلمة هزل قط منذ عرفته فقلت له : ما تقول : فقال انا نبي مرسل ، فقلت له : مرسل الى من ، قال : الى هذه الامة الضالة قلت : تفعل ماذا ، قال : املاء الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً ، قلت : بماذا قال : بادرار الارزاق والثواب العاجل والآجل لمن اطاع واتى ، وضرب الاعناق لمن عصى وابى فقلت له : ان هذا امر عظيم اخاف منه عليك ان يظهر وعذلته على ذلك فقال بديهاً :

ابا عبد الاله معاذ اني خفي عنك في الهيجا مقامي
ذكرت جسيم ما طلبي وانا نخاطر فيه بالمهج الجسام
امثلي تأخذ النكبات منه ويجزع من ملاقاة الحمام
ولو برز الزمان الي شخصاً لخضب شعر مفرقه حسامي
وما بلغت مشيئتها الليالي ولا سارت وفي يدها زمامي
اذا امتلأت عيون الخيل مني فويل في التيقظ والمنام

هذا قول ابي عبد الله معاذ اللاذقي في نبوة المتنبي فلنسمع قول كافور الاخشيدي وانتم تعلمون ان ابا الطيب لما غضب على سيف الدولة قصد كافوراً فوعده كافور بولاية

بعض اعماله فلما رأى تعاليه في شعره وسموه بنفسه خافه وعوتب فيه فقال : يا قوم من ادعي النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، اما يدعي المملكة مع كافور فحسبكم .

اما ابو العلاء المعري ، فقد ذكر عنه الاستاذ عباس محمود العقاد ، في مقال له في « البلاغ » عنوانه هل تنبأ المتنبي انه قد شك في دعوى النبوة وبنى مقاله على هذا الشك ، فهو يعتقد ان قصة النبوة رواها عن ابي الطيب جماعة من اهل عصره اكثرهم من خصومه وحساده او من ملفقي الأحاديث .

وقد رجعت الى كلام ابي العلاء فلم أجد فيه ما يدل على انه كان يشك في دعوى النبوة فهو قد صدق الدعوى وروى احاديث حدثه بها الثقة عن معجزات المتنبي، وهذا كلام المعري :

« وحدثت انه (اي المتنبي) كان اذا سئل عن حقيقة هذا اللقب قال : هو من النبوة اي المرتفع من الارض وكان قد طمع في شيء قد طمع فيه من هو دونه ، وانما هي مقادير يديرها في العلو مدبر ظفر بها من وفق ، ولا يراع بالمجتهد ان يخفق ، وقد دلت اشياء في ديوانه انه كان متألهاً ، ومثل غيره من الناس متدلهاً ، فمن ذلك قوله :

(ولا قابلاً الا لخالقه حكما)

وقوله :

ما أقدر الله ان يخزي بريته ولا يصدق قوماً في الذي زعموا

واذا رجع الى الحقائق فنطق اللسان لا ينبئ عن اعتقاد الانسان ، لان العالم مجبول على الكذب والنفاق ويحتمل ان يظهر الرجل بالقول تديناً ، وانما يجعل ذلك تزيناً ، يريد ان يصل به الى ثناء او غرض من اغراض الخالبة ام الفناء ، ولعله قد ذهب جماعة هم في الظاهر متعبدون وفيما بطن ملحدون » .

فمن هذا يتبين لكم ان ابا العلاء لم يلحقه الشك في الدعوى التي ادعاها المتنبي حتى انه بين علة هذه الدعوى فأشار الى طمع ابي الطيب في شيء قد طمع فيه من هو دونه ، وستسمعون أحاديث معجزات ابي الطيب التي حدث بها ابو العلاء ، واذا شك المعري في شيء فانه قد شك في صدق النبوة لا في صدق دعوى هذه النبوة والفرق بين الشكين ظاهر .—

ومن الذين تكلموا على دعوى النبوة ابو منصور الثعالبي فقد قال :
ويحكى انه تنبأ في صباه وفتن شرذمة بقوة ادبه وحسن كلامه :

ومنهم الانباري صاحب الطبقات فقد قال :
قال ابو علي بن حامد : سمعت خلقاً بحلب يحكون ان ابا الطيب المتنبي تنبأ ببادية السماوة ونواحيها الى ان خرج اليه لؤلؤ امير حمص من قبل الإخشيدية فقاتله واسره ، وشرّد من كان اجتمع عليه من بني كلب وكلاب وغيرهم من قبائل العرب وحبسه في السجن دهراً طويلاً حتى كاد يتلف فسئل في امره فاستتابه ، وكتب وثيقة ، وأشهد عليه فيها ببطلان ما ادعاه ورجوعه الى الاسلام وأطلقه .

* * *

هذه أقوال من تكلموا على دعوى نبوة المتنبي على ان بعضهم نسبوا الى المتنبي اموراً غير ذلك مثل طمعه في الملك وادعاءه العلوية وغير ذلك مما لم يذكروه ، فالثعالبي قبل ان يتكلم على دعوى النبوة وقد سمعتم كلامه ، تكلم على طلب الملك فقال :
وبلغ من كبر نفسه ، وبُعد همته ، ان دعا الى بيعته قوماً من راشي نبله على الحداثة من سنه ، والغضاضة من عوده ، وحين كاد يتم له امر دعوته ، تأدى خبره الى والي البلدة ورُفع اليه ما هم به من الخروج فأمر بحبسه وتقييده .

وابن خلكان روى دعوى نبوته فقال :
وانما قيل له المتنبي لانه ادعى النبوة في بادية السماوة وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم ، فخرج اليه لؤلؤ امير حمص نائب الإخشيدية فأسره وتفرق أصحابه وحبسه طويلاً ثم استتابه وأطلقه ثم قال بعد هذا :
وقيل غير ذلك ، وهذا أصح ، فما الذي قيل غير ذلك ؟ فلم يبينه ابن خلكان الى ان قال :
وقيل انه قال : انا اول من تنبأ بالشعر .—
وابن الانباري تكلم على دعوى النبوة ، وقد ذكرت لكم كلامه وأضاف اليه مايلي :
وقال القاضي ابوالحسن بن ام شيبان الهاشمي الكوفي ، وكان ابوالطيب لما خرج الى

كلب وأقام فيهم ، وادعى انه علوي ، ثم ادعى النبــوة ، ثم عاد يدعي انه علوي الى ان اشهد عليه في الشام بالتوبة واطلق .

* * *

فالذي يستخلص من كل ما تقدمت الاشارة اليه ان الاقوال في أمر المتنبيء متباينة فمنهم من قال انه ادعى النبوة ، ومنهم من قال انه هم بالخروج ، ومنهم من قال انه ادعى انه علوي ومنهم من قال غير ذلك .

ولا بأس بان الملمح الى طائفة من معجزاته وقرآنه ما دام بعض رجال التاريخ قد تكلموا على نبوته . —

أما المعجزات فقد ذكر منهـا ابو عبد الله معـاذ بن اسمعيل اللاذقي حبس المطر ، فمن شاء فليقرأ خبرها في الصبح المنبيء . وذكر ابو العلاء المعري غير حبس المطر فقال :

«وحدثني الثقة عنه حديثاً معناه انه لما حصل في بني عدي وحاول ان يخرج فيهم قالوا له وقد تبينوا دعواه : ها هنا ناقة صعبة فان قدرت على ركوبها اقررنا انك مرسل . وانه مضى الى تلك الناقة وهي رائحة في الابل فتحيل حتى وثب على ظهرها فنفرت ساعة وتنكرت برهة ثم سكن نفارها ومشت مشي المسمحة وانه ورد بها الحلة وهو راكب عليهـا فعجبوا له كل العجب وصار ذلك من دلائله عندهم .

وحدثت ايضاً انه كان في ديوان اللاذقية وان بعض الكتاب انقلبت على يده سكين الاقلام فجرحته جرحاً مفرطاً وان ابا الطيب تفل عليها من ريقه وشد عليها غير منتظر لوقته وقال للمجروح لا تحلها في يومك وعد له اياماً وليالي . وان ذلك الكاتب قبل منه فبريء الجرح فصاروا يعتقدون في ابي الطيب اعظم اعتقاد و يقولون هو كمحيي الاموات .

وحدث رجل كان ابو الطيب قد استخفى عنده في اللاذقية او في غيرها من السواحل انه اراد الانتقال من موضع الى موضع فخرج بالليل ومعه ذلك الرجل ولقيهما كلب الح عليهما في النباح ثم انصرف فقال ابو الطيب لذلك الرجل وهو عائد : انك ستجد ذلك الكلب قد مات فلما عاد الرجل الفى الامر على ما ذكر ولا يمتنع ان يكون اعد له شيئاً من المطاعم مسموماً والقاه له وهو يخفي عن صاحبه مافعل ، والخربق سم الكلام . »

واما القرآن فها انا اتلو عليكم منه ما دونه صاحب الطبقات نقلاً عن ابي علي بن حامد قال ابو علي :

« وكان قد تلا على البوادي كلاماً زعم انه قرآن أنزل عليه فكانوا يحكون له سوراً كثيرة نسخت منها سورة ثم ضاعت وبقي اولها في حفظي وهو : والنجم السيار ، والفلك الدوار والليل والنهار ان الكافر لفي اخطار . امض على سننك . واقف اثر من قبلك من المرسلين فان الله قامع بك زيغ من ألحد في دينه وضل عن سبيل قال : وهي طويلة لم يبق في حفظي منها غير هذا . »

سمعنا هذا كله فلنسمع ما نقل لنا عن المتنبيء في هذا القرآن وفي هذه النبوة فهل اثبت على نفسه قرآنه ونبوته .

قال ابو علي بن حامد : وكان المتنبيء في مجلس سيف الدولة اذا ذكر له قرآنه هذا وامثاله مما كان يحكى عنه انكره وجحده ، وقال له ابن خالويه النحوي يوماً في مجلس سيف الدولة : لولا ان اخي جاهل لما رضي ان يدعى بالمتنبيء لان معنى المتنبيء كاذب ومن رضي ان يدعى بالكذب فهو جاهل . فقال لست ارضى ان ادعى بذلك وانما يدعوني به من يريد الغض مني ولست اقدر على المنع .

قال التنوخي : قال لي ابي : فاما انا فسألته بالاهواز عن معنى المتنبيء لأني اردت ان أسمع منه هل تنبأ او لا فجاوبني بجواب مغالط وقال : ان هذا شيء كان في الحداثة فاستحييت ان استقصي عليه فامسكت .

وقال له بعض الاكابر في مدينة السلام: خبرني من اثق به انك قلت انك نبي فقال: الذي قلته : انا احمد النبي .

هذه جملة ما يتعلق من الاخبار بدعوى نبوة المتنبي ودعوى علويته وهمه بالخروج وغير ذلك يحار الانسان في حقيقة الدعوى التي ثبتت عليه . وانا لنرى ابن جني وهو من اصحاب ابي الطيب يبين لنا سبب تلقيب احمد بالمتنبي . ونرى ابا عبدالله معاذ ابن اسمعيل اللاذقي يروي لنا قدوم المتنبي اللاذقية وادعاءه النبوة . ونرى كافور الإخشيدي يصدق دعوى نبوة المتنبي . وهؤلاء كلهم من اهل عصر المتنبي . وانا لنرى ابا العلاء

المعري يحدثنا عن ثقة باحاديث معجزات المتنبي وما بينه وبين ابي الطيب الا القليل من السنين . ونرى الانباري يتكلم في طبقاته على دعوى النبوة . وكذلك الثعالبي وكذلك ابن خلكان اذ نرى الثعالبي نفسه يتكلم على هم المتنبي بالخروج على السلطان . ونرى الانباري نفسه يتكلم على ادعاء المتنبي العلوية . ونرى ابن خلكان يتكلم على امر آخر غير النبوة ، وغير العلوية و يرجحه عليها ولا يذكره . ونري المتنبي نفسه اذا ذكرت له النبوة والقرآن ينكرهما مرة و يغالط مرة اخرى ويقول : ان هذا شيء كان في الحداثة فالانسان كما قلت لكم يحار في هذه الامور كلها وعلى الخصوص فان المتنبي لم يصرح في شعره بالسبب الذي من اجله حبس وانما طلب الى الوالي ان لا يقبل زور الكلام ، وان لا يسمع من الكاشحين وان يفرق بين دعوى الارادة ودعوى الفعل :

فمالك تقبل زور الكلام وقدر الشهادة قدر الشهود
فلا تسمعن من الكاشحين ولا تعبأن بمحك اليهود
و كن فارقاً بين دعوى أردت ودعوى فعلت بشأو بعيد

فقد يجوز ان اباالطيب اراد امراً من الامور ولما همّ بهذا الامر اخفق فما هو هـذا الامر ، فالذي يقع في خلدي ان الرجل قد شغله حب الملك قبل اعتقاله اي قبل ان تشيع دعوى من الدعاوى المذكورة وقصيدته التي قالها في صباه والتي اولها :

ضيف ألم برأسي غير محتشم

قد امتلأت من امانيه البعيدة في الملك .

أيملك الملك والاسياف ظامئة والطير جائعة لحم على وضم
من لورآني ماء مات من ظمأ ولو مثلت له في النوم لم ينم
ميعاد كل رقيق الشفرتين غدا ومن عصى من ملوك العرب والعجم
فان اجابوا فما قصدي بها لهم وان تولوا فما ارضى لهـا بهم

وقد شغلته هذه الاماني كل عمره ، فلا يبالي بالطرق التي من نحوها يأتيه هذا الملك سواء عليه أجاءه من طريق النبوة ، ام من طريق العلوية ام من طريق آخر ، فقد يجوز ان نفسه وسوست له ان يجعل النبوة سبيلاً الى الملك ، وعلى الخصوص بعد ان اجتمع له الشيء الكثير من اسباب التأثير في عقول الاعراب من جملتها خبرته بالارض وفصاحته

حتى حكوا عنه انه مما كان يخرق به على اهل البادية أنه كان مشاء ، قوياً على السير يسير سيراً لا غاية بعده ، وكان عارفاً بالفلوات ومواقع المياه ومحال العرب بها وكان يسير من حلة الى حلة بالبادية وبينهما مسيرة اربعة ايام فيأتي ماء فيغسل يديه ورجليه ووجهه ثم يأتي اهل تلك الحلة فيخبرهم عما حدث في تلك الحلة التي فارقها ويوهم ان الارض تطوى له ، افلا يجوز ان نفسه حدثته بطلب الملك بعد ان تهيأ له هذا كله وتهيأ له شيء اعظم من هذا وهو حسن البيان ، وقد شهدوا له بفصاحته وأشار اليها في شعره فقال :

وكلمة في طريق خفت اعربها فيهتدى لي فلم اقدر على اللحن

فالرجل مطبوع على الفصاحة والاعراب ، كل هذا من الامور التي نوطئ له السبيل الى الاستيلاء على عقول الاعراب ، ولكنه ينقصه قوة العقيدة فلم يؤثر عنه انه كان متيناً في عقيدته ، شديداً في دينه ، وقد اوضح عن ضعف العقيدة ، ورقة الدين في كثير من شعره منه قوله :

تتقاصر الافلاك عن ادراكه مثل الذي الافلاك فيه والدنا

وقوله : لو كان علمك بالاله مقسماً في الناس ما بعث الاله رسولاً

وقوله : او كان لج البحر مثل يمينه ما انشق حتى جاز فيه موسى

وقوله : يا من نلوذ من الزمان بظله ابداً ونطرد باسمه ابليسا

الى كثير من اشباه هذه الابيات ، فلما هم بما اراد لم يتم له شيء من مراده ولعل الاعراب انفسهم الذين صحبهم في البادية هم الذين وشوا به .

ومدقعين بسبروت صحبتهم عارين من حلل كاسين من درن

خراب بادية غرثى بطونهم مكن الضباب لهم زاد بلا ثمن

يستخبرون فلا اعطيهم خبري وما يطيش لهم سهم من الظنن

وكيف كان السبب الذي من اجله حبس فان المتنبئ متن بعض المتانة في حبسه فقال :

كن ايها السجن كيف شئت فقد وطنت للموت نفس معترف

لو كان سكناي فيك منقصة لم يكن الدر ساكن الصدف

ولكنه بعد ان قال هذين البيتين وهما هما في متانة الاخلاق والصبر على المكاره في سبيل مذهب من المذاهب او معتقد من المعتقدات خانه الصبر فضعف عزمه فقال للوالي :

اامالك رقي ومن شأنه هبات اللجين وعتق العبيد
دعوتك عند انقطاع الرجاء والموت مني كحبل الوريد
دعوتك لما براني البلاء واوهن رجلي ثقل الحديد

فاين توطين النفس للموت من هذه الاستغاثة ·

دمشق : في ٢٢ آذار سنة ١٩٣٠



المحاضرة السادسة عشرة

حياة المتنبي

- ٨ -

أرى ان أفضي اليكم بعد ان تكلمت على وطن ابي الطيب وعلى نسبه وعلى تحصيله وعلى روايات نبوته ، بجملة اخباره وهو في ديار الشام وفي ظلال سيف الدولة وفي مصر وفي العراق وفي بلاد فارس ، على ان تكون اخباره هذه متسلسلة ليس فيها شيء من الاقتضاب ، وكنت أحب ان اختصر الكلام على هذه الاخبار حتى اصل الى الكلام على أخلاقه وروحه ولغته وشعره وبعض نظراته الفلسفية قبل انقضاء سنتنا . ولكني لا اجد لي مندوحة عن ان أروي لكم المهم من هذه الاخبار مما له تأثير في شعره ، فستجدون في الآتي ان ابا الطيب قد شكا الحسد في كثير من قصائده ، وستجدون ان الاخبار التي سأرويها لكم لاتخلو من ارتباط بهذا الحسد الذي اكثر من الاشارة اليه في شعره . فالرجل كان محسوداً في جميع حالاته في فقره وفي غناه .

***

فلننظر الى حالة ابي الطيب قبل اتصاله بسيف الدولة ، فقد علمتم انه لما نسبوا اليه انه ادعى النبوة كان عمره سبع عشرة سنة . فكان في اول امره في خشونة من عيشه ورقة من حاله ، يعوزه كل شيء . يعوزه الناعم من الملابس . والكريم من المطايا . توفي ابوه فقيراً فضرب ابوالطيب في مناكب الشام التماساً للرزق . وجال في البوادي والحواضر ومدح رجالاً من منبج وطرابلس الشام وطرسوس وانطاكية . وطبريا ودمشق وبعلبك ومر بحمص وبعقاب لبنان . وبغير ذلك من بادية الشام وحضرها :

الفت ترحلي وجعلت ارضي قتودي والغريري الجلالا

فما حاولت في ارض مقاماً ولا ازمعت عن ارض زوالا

على قلق كأن الريح تحتي أوجهها جنوباً او شمالا

جال ابو الطيب في هذه الآفاق كلها ، ومدح فيها من أمّل نداه وكرمه فقد كان

فقيراً شكا فقره وتنوعت شكاياته . فمرة كانت أعصابه تهيج في شكوى الفقر :

الى اي حين انت في زي محرم وحتى متى في شقوة والى كم

ومرة كانت هذه الأعصاب تهدأ بعض الهدوء :

لله حال أرجيها وتخلفني واقتضي كونها دهري ويمطلني

لم يكن لابي الطيب في اول امره شيء من المطايا فلا مطية له الا النعل والخف ، ولا لباس له الا القطن الخشن :

لا ناقتي تقبل الرديف ولا بالسوط يوم الرهان اجهدها

شراكها كورها ومشفرها زمامها والشسوع مقودها

وقد اكثر من التنغم بقلة المطايا :

وحييت من خوص الركاب باسود من دارش فغدوت امشي راكبا

حال متى علم ابن منصور بها جاء الزمان اليّ منها تائبا

نعم كان ابو الطيب يشكو الفقر على انه لم يقصر في طلب الرزق :

ضاق صدري وطال في طلب الرزق قيامي وقل عنه قعودي

ابداً أقطع البلاد ونجمي في نحوس وهمتي في صعود

ولعلي مؤمل بعض ما ابلغ باللطف من عزيز حميد

لسريّ لباسه خشن القطن ومرويّ مرو لبس القرود

ولكن شعره كان يباع في سوق الكساد :

الى كم ذا التخلف والتواني وكم هذا التمادي في التمادي

وشغل النفس عن طلب المعالي ببيع الشعر في سوق الكساد

فيحكى ان علي بن منصور الحاجب الذي امله ورجاه لم يعطه على قصيدته التي فيه واولها : (بابي الشموس الجانحات غواربا)

الا ديناراً واحداً فسميت الدينارية :

لم يقصر ابو الطيب في السعي ولكن آماله خابت عند من كان يمدحهم .

مدحت قوماً وان عشنا نظمت لهم قصائداً من أناث الخيل والحصن

فكم سعى الى حاجة ولم ينل منها شيئاً :

فقل في حاجة لم اقض منها   على شغفي بها شروى نقير

وكم طلب الرزق لجدته ففاته هذا الرزق :

طلبت لها حظاً ففاتت وفاتني   وقد رضيت بي لو رضيت بها قسما

فلا ذنب له في هذا كله ، وانما الذنب يرجع الى الذين يذكرون له الجود فلا يحصل من جودهم الا على الكلام .

أرى أناساً ومحصولي على غنم   وذكر جود ومحصولي على الكلم

على انه اذاذم بعض ممدوحيه فقد حمد طائفة منهم لم يبخلوا عليه ، في جملتهم ابو العشائر . هذه حاله وهو في ديار الشام ، شكا فيها كل شيء ، شكا فقره واخفاقه في السعي ، وكساد شعره في أسواق بعض الممدوحين ، ومع هذا كله ما كان يخلو من حسد الحساد وشماتة الشامتين وكيد الكائدين ، نعم لم يخل من حسد الحساد .

فلو اني حُسدت على نفيس   لجدت به لذي الجد العثور
ولكني حسدت على حياتي   وما خير الحياة بلا سرور

ولم يخل من شماتة الشامتين ، حتى في المواطن التي لا تكون فيها الشماتة الا الأم اللؤم ، فقد شمتوا بموت جدته :

لئن لذ يوم الشامتين بيومها   لقد ولدت مني لأنفهم رغما

ولا خلا من كيد الكائدين :

ان الكذاب الذي أكاد به   أهون عندي من الذي نقله

* * *

فلنبحث عن أخبار ابي الطيب وهو في ظلال سيف الدولة ، فهل استمر ابو الطيب في شكوى الفقر ، هل استمر في شكوى الحسد .—

كان ابوالطيب قبل اتصاله بسيف الدولة يمدح القريب والغريب ويصطاد مابين الكركي والعندليب ، هكذا قال فيه الثعالبي وقد تحقق عندنا ذلك وبقيت هذه حالته الى سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وهي السنة التي مدح فيها سيف الدولة وكان عمره حينئذ اربعاً وثلاثين سنة .—

كيف اتصل بسيف الدولة وكيف كانت منزلته عنده وكيف كان رأي بعض

الشعراء ورجال الادب فيه وكم مكث في افياء سيف الدولة وما هي الاسباب التي من أجلها فارق ابو الطيب سيف الدولة .

قال ابو عبد الله ياقوت الرومي :

ولم يزل المتنبي بعد خروجه من الاعتقال في خمول وضعف حال حتى اتصل بابي العشائر ومدحه بعدة قصائد ، فأكرمه ابوالعشائر وعرف منزلته وكان ابو العشائر والي انطاكية من قبل سيف الدولة ولما قدم سيف الدولة انطاكية قدم المتنبي عليه ، واثنى عنده عليه وعرّفه منزلته من الشعر والادب . واشترط ابوالطيب على سيف الدولة اول اتصاله به انه اذا انشده مديحه فيه لا ينشده الا وهو قاعد ، وانه لا يكلف تقبيل الارض بين يديه ، فنسب الى الجنون ودخل سيف الدولة تحت هذه الشروط ، وتطلع الى مايرده منه وذلك في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ، وحسن موقعه عنده فقربه واجازه الجوائز السنيه ومالت نفسه اليه وأحبه فسلمه الى الرواض ، فعلموه الفروسية والطراد والمثاقفة . وحكي انه صحب سيف الدولة في عدة غزوات الى بلاد الروم ، منها غزوة العشاء التي لم ينج منها الا سيف الدولة بنفسه وستة أنفار احدهم المتنبي ، واخذت الطرق عليهم الروم فجرد سيف الدولة سيفه وحمل على المعسكر وفرق الصفوف وبدد الالوف .

هذا هو اول اتصاله بسيف الدولة ، فبعد ان كان يشكو شقوته وقلة مطاياه واخفاقه في السعي وكساد شعره ، انقلبت حاله فخار في كثرة خيله وخوله .

بالشرق والغرب أقوام نحبهم　　فطالعاهم وكونا أبلغ الرسل
وعرفاهم باني في مكارمه　　اقلب الطرف بين الخيل والخول

لقد غرق ابو الطيب في مكارم سيف الدولة الباهرات حتى ترك السرى لمن لا مال له وانعل خيله ذهبا .

تركت السرى خلفي لمن قل ماله　　وانعلت أفراسي بنعماك عسجدا

فكان سيف الدولة يعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار ماعدا الخيل والجواري والخلع والجوائز والإقطاعات .

اسير الى إقطاعه في ثيابه　　على طرفه من داره بحسامه

من هذه الاقطاعات سبعين وهي قرية بباب حلب ، وصف وهي قرية بالمعرة وكان

له وكيل يتوكل له في داره بحلب اسمه ابو سعيد ، فأين حاله من هذه من شقوته التي كان فيها ولا مطية له الا قدماه ، ولا لباس له الا القطن الخشن ، ولئن تكلم ابوالطيب وهو عند سيف الدولة بلسان المياسير الاغنياء ، فستجدون انه سيتكلم بعد تركه سيف الدولة بلسان الملوك اصحاب العبيد .—

* * *

ولكن نعمة مثل هذه النعمة لا تنجي صاحبها من حسد الحساد وكيد الكائدين وعلى الخصوص اذا كان صاحب هذه النعمة قد زاحم غيره من الشعراء عليها ، وما اكثر الشعراء الواقفين بباب سيف الدولة ، وما أعظم الفرق بين منزلتهم ومنزلة ابي الطيب ، فكان من المنتظر ان يكثر حساد ابي الطيب . وان يموت بعضهم حسداً ، وما خلا عصر من العصور من حسد الحساد وكيد الكائدين .

فلنقص انباء الذين آلمهم ان يكون ابو الطيب في ظلال سيف الدولة .

منهم السري الرفاء فقد ذكروا انه لما سمع بيت المتنبئ .

وخصر تثبت الابصار فيه   كأن عليه من حدق نطاقا

قال : هذا والله معنى ماقدر عليه المتقدمون ، ثم انه حم في الحال حسداً وتحامل الى منزله ومات بعد ثلاثة ايام .

ومنهم ابو العباس النامي ، فقد ذكروا ان سيف الدولة كان يميل اليه ميلاً شديداً الى ان جاءه ابو الطيب فمال عنه اليه فغاظ ذلك ابا العباس ، فلما كان ذات يوم خلا بسيف الدولة وعاتبه وقال : الامير لمَ يفضل عليّ ابن عيدان السقاء ؟ فأمسك سيف الدولة عن جوابه ، فلج وألح عليه وطالبه بالجواب ، فقال : لانك لا تحسن ان تقول كقوله :

يعود من كل فتح غير مفتخر   وقد اغذ اليه غير محتفل

فنهض من بين يديه مغضباً واعتقد ان لا يمدحه ابداً ، وابو العباس هذا هو القائل كان قد بقي من الشعر زاوية دخلها ابو الطيب .

ومنهم ابوفراس الحمداني فقد ذكروا انه قال لسيف الدولة : ان هذا المتشدق يعني المتنبئ كثير الادلال عليك وانت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار عن ثلاث قصائد ويمكن ان تفرق مائتي دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من شعره .

فأثر هذا الكلام في سيف الدولة وعمل فيه وكان ابو الطيب غائباً فبلغته القصة ولما حضر دخل على سيف الدولة وانشده هذه الابيات :

الا ما لسيف الدولة اليوم عاتباً　　فداه الورى امضى السيوف مضاربا
ومالي اذا ما اشتقت ابصرت دونه　　تنائف لا اشتاقها وسباسبا
وقد كان يدني مجلسي من سمائه　　احادث فيها بدرها والكواكبا
حنانيك مسؤولا ولبيك داعياً　　وحسبي موهوباً وحسبك واهبا
اهذا جزاء الصدق ان كنت صادقاً　　اهذا جزاء الكذب ان كنت كاذبا
وان كان ذنبي كل ذنب فانه　　محا الذنب كل المحو من جاء تائبا

فاطرق سيف الدولة ولم ينظر اليه كعادته فخرج المتنبي متغيراً وحضر ابو فراس وجماعة من الشعراء فبالغوا في الوقيعة في حق المتنبي وانقطع ابو الطيب بعد ذلك ونظم القصيدة التي اولها :

واحر قلباه ممن قلبه شبم

ثم جاء وانشدها وجعل يتظلم فيها من التقصير في حقه بقوله :

مالي اكتم حباً قد برى جسدي　　وتدعي حب سيف الدولة الامم
ان كان يجمعنا حب لغرته　　فليت انا بقدر الحب نقتسم
قد زرته وسيوف الهند مغمدة　　وقد نظرت اليه والسيوف دم

فهم جماعة بقتله في حضرة سيف الدولة لشدة ادلاله واعراض سيف الدولة عنه فلما وصل في انشاده الى قوله :

يا اعدل الناس الا في معاملتي　　فيك الخصام وانت الخصم والحكم

قال ابو فراس قد مسخت قول دعبل :

ولست ارجو انتصافاً منك ماذرفت　　عيني دموعاً وانت الخصم والحكم

قال ابو الطيب :

اعيذها نظرات منك صادقة　　ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

فعلم ابو فراس انه يعنيه فقال : ومن انت يادعي كندة حتى تأخذ اعراض الامير فاستمر في انشاده ولم يرد عليه الى ان قال :

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا بانني خير من تسعى به قدم
انا الذي نظر الاعمى الى ادبي واسمعت كلماتي من به صمم

فزاد ذلك ابا فراس غيظاً وقال : قد سرقت هذا من عمرو بن عروة بن العبد حيث يقول :

اوضحت من طرق الآداب ما اشتكلت دهراً واظهرت اعراباً وابداعا
حتى فتحت باعجاز خصصت به للعمي والصم ابصاراً واسماعا

ولما انتهى ابو الطيب الى قوله :

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

قال ابو فراس : وماذا ابقيت للامير اذا وصفت نفسك بالشجاعة والفصاحة والرياسة والسماحة تمدح نفسك بما سرقته من كلام غيرك وتأخذ جوائز الامير اما سرقت هذا من الهيثم بن الاسود النخعي الكوفي المعروف بابن العريان العثماني .

انا ابن الفلا والطعن والضرب والسرى وجرد المذاكي والقنا والقواضب

فقال ابو الطيب :

وما انتفاع اخي الدنيا بناظره اذا استوت عنده الانوار والظلم

فقال ابو فراس :

وهذا سرقته من قول معقل العجلي :

اذا لم أميز بين نور وظلمة بعيني فالعينان زور و باطل

ومنه قول محمد بن احمد بن ابي مرة المكي :

اذا المرء لم يدرك بعينه ما يرى فما الفرق بين العمي والبصراء

حتى غضب سيف الدولة من كثرة مناقشته في قصيدته هذه ودعاوبه فيها فضربه بالدواة التي بين يديه فقال ابو الطيب :

ان كان سركم ما قال حاسدنا فما لجرح اذا أرضاكم ألم

فقال ابو فراس : هذا أخذته من قول بشار .

اذا رضيتم بان نجفى وسركم قول الوشاة فلاشكوى ولاضجرا

ومثله قول ابن الرومي :

اذا ما الفجائع اكسبنني رضاك فما الدهر بالفاجع

فلم يلتفت سيف الدولة الى ما قاله ابو فراس واعجبه بيت المتنبي ورضي عنه في الحال وادناه وقبّل رأسه واجازه بالف دينار ثم اردفها بالف اخرى ..

لم يقتصر ايلام ابي الطيب على الشعراء انفسهم وانما تعدى الشعراء الى بعض رجال اللغة ممن كان يضعّف اقوالهم في حضرة سيف الدولة .

من هؤلاء اللغويين ابو عبد الله بن خالويه النحوي فقد حكوا انه جرت مسألة في اللغة في حضرة سيف الدولة تكلم فيها ابن خالويه النحوي مع ابي الطيب اللغوي وكان المتنبي حاضراً فضعّف المتنبي قول ابن خالويه فاخرج ابن خالويه من كمه مفتاحاً حديداً ليلكم به المتنبي ، فقال له المتنبي اسكت ويحك فانك اعجمي واصلك خوزي فمالك وللعربية فضرب المتنبي بذلك المفتاح وأسال دمه على وجهه وثيابه فغضب المتنبي من ذلك اذ لم ينتصر له سيف الدولة لا قولاً ولا فعلاً .

فتصوروا مقدار ايلام المتنبي لهؤلاء الرجال حتى ان واحدهم لم يستطع ان يملك نفسه ، ويضبط حركته في ساعة الغضب فيعمد الى اللكم والضرب وهذا منتهى الغيظ .

وقد كان لهذه الامور كلها اثر في شعر ابي الطيب ولئن شكا الحسد وهو في خشونة من العيش ، فاخلق به ان يضجر من حسد الحساد وهو يتقلب في ظلال النعيم فما غفل الحساد عن المتنبي وهو في حضرة سيف الدولة ، ولا غفل المتنبي عن شكوى الحسد فمن قوله لسيف الدولة :

ازل حسد الحساد عني بكبتهم فانت الذي صيرتهم لي حسداً

ومن قوله له :

فابلغ حاسدي عليك اني كبا برق يحاول بي لحاقا

ومن قوله :

أعادى على ما يوجب الحب للفتى وأهدأ والافكار فيّ تجول
سوى وجع الحساد داو فانه اذا حل في قلب فليس يحول
ولا تطمعن من حاسد في مودة وان كنت تبديها له وتنيل

من هذا كله يتبين لكم ان ابا الطيب قد استمر في شكوى الحسد ، ولقد اشتد حسد

الناس اياه وهو في ظلال سيف الدولة واشتدت الوقيعة فيه واخذ سيف الدولة يعبث به بعد ذاك الاكرام ، من ذلك ما حكاه ابو الفرج الببغا قال :

اذكر ليلة وقد استدعى سيف الدولة بدرة فشقها بسكين الدواة ، فمد ابو عبد الله ابن خالويه طيلسانه فحثى فيه سيف الدولة صالحاً ومددت ذيلي دراعتي فحثى لي جانباً والمتنبيء حاضر وسيف الدولة ينتظر منه ان يفعل مثل فعلنا فما فعل ، فغاظه ذلك فنثرها كلها على الغلمان فلما رأى المتنبيء انه قد فاته زاحم الغلمان يلتقط معهم فغمزهم عليه سيف الدولة فداسوه وركبوه وصارت عمامته في رقبته فاستحى ومضت به ليلة عظيمة فخاطب ابو عبد الله بن خالويه سيف الدولة في ذلك فقال : يتعاظم تلك العظمة و ينزل تلك المنزلة لولا حماقته ·

فصعب على ابي الطيب بعد هذه الامور كلها ان يستمر في حاشية سيف الدولة ، الشعراء يحسدونه و يوقعون فيه ، و يضربونه ، وسيف الدولة يهزأ به و يعبث ، وكان المتنبيء يشكو من سيف الدولة ، وكان سيف الدولة يغتاظ من تعاظم المتنبيء و يجفو عليه اذا كلمه والمتنبيء يجيبه في اكثر الاوقات و يتغاضى في بعضها ·

نعم كان يصعب على ابي الطيب ان يواظب على مجلس سيف الدولة بعد ان وقع بينه وبين الشعراء ما وقع فما وسع ابا الطيب الا مفارقة سيف الدولة وذلك في سنة ست واربعين وثلثمائة فتكون مدة ملازمته له تسع سنين ·

ولما عوتب المتنبيء في ترك سيف الدولة ومدح كافور قال :

حذرناه وانذرناه فما نفع فيه الحذر ، الست القائل فيه :

ابا الجود اعط الناس ما انت مالك ولا تعطين الناس ما انا قائل

فهو الذي اعطاني لكافور بسوء تدبيره وقلة تمييزه ·

دمشق : في ٢٩ آذار سنة ٩٣٠

نظرة

« في معجم العلوم الطبية والطبيعية »

— للدكتور محمد شرف —

لفت نظر رئيسنا الجليل محمد بك كردعلي وزير المعارف كما لفت نظري ما قرأناه في الصحف المصرية من جمل الاعجاب بمعجم الدكتور محمد شرف وما لقيه المؤلف من ضروب الحفاوة والتكريم لدى جمهور الأطباء في مصر فصحت عزيمة الرئيس حفظه الله على ابتياع ثلاث نسخ منه لخزانة المجمع العلمي وفرعيها ودفع اليَّ نسخة منها لألقي عليها نظرة من الوجهة الزراعية . ولما كانت اوقات الفراغ أقصر لديَّ من ليالي الصيف جلست للمعجم جلستين أفتش فيهما عما ذكره المؤلف في ترجمة الفاظ كانت ترد الى خاطري عرضاً فوجدت ان أنبهه الى الأوهام والنواقص الآتية لعله يتلافاها في طبعة تالية .

(١) ترجم لفظة (Layering) بما يلي : « تولد النبات بطبقات (غرس العُقَل) شتل » والصحيح في علم الزراعة الترقيد والتكبيس . والعكس هو (Layer) ولم يذكره بهذا المعنى . اما الغرس بالقضبان والفسل فهو ما يسميه المصريون (الغرس بالعُقل) وهو بالفرنسية (Bouturage) و بالانكليزية (Cuttings) .

(٢) عرَّف شجر التنوب (Abies) بانه (نوع من الصنوبر) وفي هذه الجملة غلطتان لان (Abies) هو جنس لا نوع ولان هذا الجنس ليس من الصنوبر بل من الفصيلة الصنوبرية . ولو قال (جنس من الفصيلة الصنوبرية) لما أخطأ . ولم يذكر (Abies cilicica) وهو الشوح الذي يكثر في حراج شمالي الشام .

(٣) قال ان نبات (Gundelia tournefortii) هو في الشام (العَقُّوب) كذا بالقاف مع ان الشاميين يسمونه العكوب بالكاف .

(٤) ذكر ان (Eryngium) هو القرصعنة (قرص عني) وكان يجب ان يذكر اسم النوع فالقرصعنة المعروفة هي (E. creticum) .

(٥) ترجم لفظة (Panicle) بطلمة وسنبلة الخ . قلت أرجح لفظة لها هي العشكول اما السنبلة فترجمة (Speke) .

(٦) عرّف حرف (Hippology) بقوله (علم أمراض الخيل — مبحث الخيل) قلت الجملة الاولى خطأ والثانية ناقصة لان هذا العلم (تحليــة الخيل) يشتمل على مباحث كثيرة ومتنوعة وسماه اجدادنا (الزرطقــة) وهي لفظــة معربة تصلح ايضــاً مقابل (Hippotechnie) بالفرنسية اي تربية الخيل .

(٧) عرّب (Achene , Achenium) بلفظ اخينيوم وأخين . قلت هــذا النوع من الثمر الجاف أطلق عليه لفظ (الثمرة الفقيرة) في كل كتب النبات والزراعة قديماً وحديثاً (بوست ، الاتراك ، كتب الزراعة والنبات المصرية . الخ) .

(٨) وضع مقابل حرف (Acclimatation) ما يلي : « تأقلم (كذا) النبــات او الحيوان في بلد غريب ، تبلد ، تعود على الاقليم ، تعوّد الهواء » . قلت لوقال (ايلاف الإقليم) لكفى .

(٩) وجدت مقابل لفظة (Plumule) « ريشة الجنين ، اصل الساق » . قلت أصلح لفظة لها هي السَّبَد .

(١٠) خطر ببالي ان ارى الألفاظ العربية التي وضعها صاحب المعجم مقابل الحروف الأعجمية الدالة على ألوان الخيل والدواجن السائرة وشياتها ففتشت عن لفظة (Gris) بالفرنسية و (Gray) بالانكليزية فرأيت مقابلها (أرمد — أشيب — أشمط — أشهب) ولم أجد غير ذلك . قلت الـ (Gris) هو الأشهب وهوالفرس تكون شعراته على لونين ابيض واسود على ان تتفرق فلا تجمع واحداً من اللونين شعرات تخلص بلون واحد كقدر النكتة فما فوقها . وفي الشهب ألوان مثل الآتية .

أشهب الى بياض	Gris clair
〃 الى سواد	〃 foncé
〃 حديدي	〃 de fer
أبرش	〃 sale

أرمد	Gris cendré
أغبر	« rouanné

والمعجم خال من كل هذه الاسماء وأظن انه خال من عشرات الألوان التي تشتق من الشقرة والدهمة والبياض والكمتة والحوة والصفرة والبلقة دع أضراب الشيات « انظر م ٥ من مجلة المجمع » ولم يتسع الوقت للبحث عنها كلها في المعجم .

(١١) سمى الفصيلة السنفية (قرنية ، قطانية) باسم الفصيلة البقولية . والألفاظ الاولى أرجح لاسباب يطول شرحها .

(١٢) لم يذكر التطعيم وأنواعه (Grafting , Greffage) وهو نقص مهم في معجم علمي .

(١٣) ذكر ان الفطر الطفيلي (Oidium tuckeri) (والارجح Erisyphe tuckeri) هو الذي يولد مرض الـ (Mildew) اي مرض العفونة (الندوة الزراعية) وقد أخطأ بذلك لان الفطر المذكور يولد في الكروم مرض (المن) و يداوى برش مسحوق الكبريت على أوراقها وعساليجها ولا يجهله احد من اصحاب الكروم ولاسيما في الغوطة .

اما مرض العفونة (Mildevv) فانه يحصل في الكروم من نبات فطر طفيلي آخر ذكره وهو (Peronospora viticola) ويسمى ايضاً (Plasmapara viticola) وهو يداوي بمحلول الكلس و كبريتات النحاس في الماء .

وما دام صاحب المعجم العلمي قد جعل في معجمه مكاناً لهذين المرضين اللذين يعتريان الكروم فلماذا لم يوجد فيه متسعاً لبعض الامراض المهمة التي تعتري تلك الجنبة مثل :

مرض العفونة السوداء	Guignardia bidvvelii
مرض (سويد) الكروم	Manginia ampelina
مرض تعفن الجذور	Agaricus melleus Dematophora necatrix

دع عشرات غيرها مما يعتري النباتات الزراعية السائرة وقد فتشت عن بعضها في المعجم فلم أجد لها ذكراً .

(١٤) سمي النبات (Panicum miliaceum) بالقُشَيب والدُّعاع . قال وهي

بقلة تسطح على الارض · قلت ان ما نعلمه ويعلمه ارباب الزراعة هو ان النبات المذكور يسمى الدخن · وقد ذكره احمد ندا في كتابه الزراعي فكيف سها المؤلف عن مراجعته مع انه وضع احمد ندا بين علماء الحيوان والنبات الذين أستشهد باقوالهم ·

(١٥) سمى الذرة البيضاء اي الذرة البلدية (Sorghum halepense)· وهذا النوع هو حشيش الفرس اما الذرة المذكورة فهي النوع المسمى (S. Annuum) (عن بوست) ومن الغريب انه نقل اسم الذرة البيضاء عن احمد ندا باللفظ الذي يلفظها به العوام فقال ذرة بلدي وذرة مصري (كذا) ·

(١٦) ذكر ١٤ نوعاً من جنس (Artemisia) منها ما لا شأن له ولم يذكر (Artemisia dracunculus) وهو بقل الطرخون المعروف ·

(١٧) لم يذكر جنس (Cerasus) وهو الجنس الذي فيه أنواع « الكرز والوشنة والمحلب والجانرك » بل اكتفى بذكر نوعي الكرز والمحلب في جنس (Prunus) مع ان معظم علماء النبات والزراعة في ايامنا هذه يجعلون لأنواع الكرز جنساً تنفرد به ·

(١٨) ذكر (Salicornia fructicosa) ولم يذكر (S. herbacea) وهو أشهر من الأول (نبات الأشنان الذي يستخرج منه القلي) ·

(١٩) قال ان الحمص (Cicer arietinum) هو جنس من النباتات البقولية · والصواب نوع من الفصيلة السنفية (القطانية ، القرنية) ·

(٢٠) ترجم نوع القمح المسمى (Triticum durum) بما يلي : « قمح أصفر — قمح صلب الحب يزرع في جنوب اوربا — قمح فينو — قمح نبوي الخ » قلت لو اقتصر في ترجمته بالقمح الصلب لكفى · ويمكنه بعد ذلك ان يعرفه بانه كثير الانتشار في مصر والشام وسواحل بحر الروم ·

وترجم (T. sativum) بالبر والحنطة ، والقمح · وهذا لا يكفي بل كان يجب ان يسميه القمح اللين (خلافاً للنوع الاول) وان يعرفه بانه نوع تنسب اليه معظم ضروب القمح التي يزرعها الاوربيون خاصة · ولم يذكر النوعين المعروفين في عالم الزراعة وهما : T. polonicum
T. turgidum

وسها عن تعريف (T. spelta) و (T. monococcum) بانها من الحنطة المكتنسية اي ان العصافة تظل لاصقة بالبرة كما في حبة الشعير ·

(٢١) لم يذكر الترجمة العلمية لأنواع الشعير · بل أورد مقابل الاسم اللاتيني لكل نوع اسماء بعض أصنافه (أضرابه) فبدلاً من تسمية (Hordeum distichum) بلفظ الشعير ذي الحرفين ، أطلق عليه الأسماء الآتية : « شعير انكليزي · شعير حذوري · شعير حب حوري » · ولايخفى ان الأصناف كثيرة العدد فيمكن ذكر بعضها على سبيل المثال ولكنه لا يقتصر عليها او على قسم منها في تعريف النوع · ولذلك يجب على المؤلف ان يسمي (H. hexastichum) بالشعير ذي الحروف الستة و(H.tetrastichum) بالشعير ذي الحروف الاربعة · وبعد ان يورد هذه الاسماء العلمية لأنواع الشعير المذكورة يكون بامكانه ان يقول ان الضرب الفلاني هو من النوع الاول او الثاني او الثالث[1] · « للبحث تلو » مصطفى الشهابي

(١) يظهر ان صاحب المعجم نقل اسماء النباتات نقلاً عن شو ينفورث وغيره دون ان يكون علماً بعدد كبير من هذه النباتات و بالأصناف الزراعية منها فلفظ « شعير حذوري ، شعير حب جوري » نقلها بالحرف عن الصفحة ١٦٦ من كتاب النبات تأليف شو ينفورث وهما من أصناف (ضروب) شعير اليمن كما نقل أصناف الشعير الواردة في الصفحة ٢٥ من ذلك الكتاب دون ان يزيد عليهما شيئاً · ولو كانت المعاجم التي هي مثل معجمه تتسع لذكر الاصناف للزم ان يذكر مثلاً الشعير الهراوي والمر بوطي من اصناف مصر والعربي والرومي من اصناف الشام الخ ، وللزم ان يملأ عدة صفحات في تمداد اصناف النباتات الزراعية السائرة وهي تعد بالمئات والمعجم خلو منها ·

ونقل لفظي « البرسيم الحجازي والقضب » عن الصفحة ٣٠ من كتاب شوينفورث ولم يذكر ان النبات المبحوث عنه هو الفصفصة والرطبة لان الحرفين الاخيرين لم يردا في الكتاب المذكور · وهكذا تراه يثبت عدداً عظيماً من الالفاظ العامية للنباتات التي وردت في هذا الكتاب وفي غيره من كتب الاعاجم دون ان يحقق عن الالفاظ الصحيحة التي تقابلها · ومن المعروف ان الأجانب الذين ألفوا في النبات كثيراً ما كانوا يكتفون بذكر الالفاظ العربية المتداولة على الألسن سواء أكانت صحيحة ام عامية ·

التدوين في الاسلام

من ادق المسائل معرفة أوائل الاشياء والمحدثات من الامور ، فقد رأينا الغربيين في عهدنا اختلفوا في اول من اخترع الكهرباء ووضع الخطوط الحديدية وعمد الى الطيران . وهذه من الاعمال الحديثة العهد فما بالك بامور اتت عليها قرون كمسألة التدوين في الاسلام . كان اول تدوين كتب القرآن في المصاحف في عهد الخليفة الاول وكلما كان يكثر عدد من يكتبون من المسلمين في الاقطار كان عدد من يدونون يزيد كثيراً وقد تبين مؤخراً ان ما نقلته في مجلة المقتطف (المجلد الثامن والعشرون سنة ١٩٠٣ — ١٣٢١ ص ٦٦٠) من ان اول من صنف عبدالملك بن جريج البصري المتوفى سنة ١٥٥ او ابو النصر سعيد بن ابي عروبة (١٥٦) او ربيع بن صبيح (١٦٠) او غيرهم من اهل القرن الثاني كان يراد به من افردوا المسائل بالتأليف والا فان التدوين وقيد الفوائد الادبية والدينية كان مما حدث في القرن الاول . ولو لم يكن هناك كتب مدونة ما كان خالد بن يزيد الاموي حكيم الامويين يحرص على نقل بعض العلوم من السريانية واليونانية الى العربية على ما اثبت ذلك الثقات المحققون .

ولقد ثبت على ماروى صاحب الفهرست ان عبيد بن شرية الجرهمي وفد على معاوية ابن ابي سفيان في الشام فسأله عن اخبار الاقدمين وملوك العرب والعجم فاجابه الى ما امر فامر معاوية ان يدون و ينسب الى عبيد ، ولعبيد عدة كتب ذكرت في الفهرست . وبقي عبيد حياً الى ايام عبد الملك بن مروان فثبت بذلك ان التدوين حدث في اوائل القرن الاول اي في عصر الصحابة الكرام على ما في (توجيه النظر) للعلامة الشيخ طاهر الجزائري ، فقد ذكر بعض الحفاظ ان زيد بن ثابت الف كتاباً في علم الفرائض وذكر البخاري ان عبد الله بن عمر كان يكتب الحديث . وذكر مسلم في صحيحه كتاباً ألف في عهد ابن عباس في قضاء علي . وقد ذكر المؤرخون انه وجد في خزانة الانبار عدة كتب بخطوط بعض الصحابة والتابعين بل وجد كتاب بخط عبد المطلب بن هاشم من اهل مكة كتب قبل الاسلام .

اذا عرفت هذا فقد زال الشك الذي تطرق الى بعض ما دون من اخبار الجاهلية وشعرهم لانا رأينا القوم قد عنوا بالتدوين لاول القيام بالدعوة الاسلامية بقدر ماساعدهم عدد الكاتبين . وباثبات هذه القضية ، على ما تجلت لنا بآخرة ، يزول العجب الذي كان ادرك مثل الاستاذ منشئ المقتطف رحمه الله (م ٢٨ — ص ٦٦٣) من توقف العرب عن تدوين اخبارهم الى ما بعد الهجرة بسنين كثيرة قال مع ان مدائن مصر والشام والعراق وسائر بلاد فارس التي فتحوها في القرن الاول كانت حافلة بالكتب والمكاتب وان صناعة الكتابة كانت معروفة عندهم ، قال واعجب منه ان يكتبوا في المئة الثانية ما سمعه اجدادهم في المئة الاولى ولا يخطئوا ونحن لا نستطيع اليوم ان نروي خبراً سمعناه في العام الماضي او نصف حادثة شاهدناها منذ عامين اه .

كان هذا الرأي غالباً على بعض الباحثين ، ولكن الايام اثبتت نقيضه بما وقع لعبيد ابن شرية الجرهمي مع معاوية بن ابي سفيان . ومن غرائب الحوادث ان ما رواه الراوون عن هذا الراوية قد ظفر الباحثون بنصه مدوناً ، وقد نشره السيد كرينكو من علماء المشرقيات في انكلترا باسم اخبار عبيد بن شرية الجرهمي في اخبار اليمن واشعارها وانسابها وطبعه في حيدر آباد الدكن في الهند ومما جاء فيه وهو ما يؤيد رواية ابن النديم في الفهرست ان معاوية امر (ص ٣١٤) كتّابه ان يدونوا ما يحدث به عبيد بن شرية في كل مجلس سمر فيه مع معاوية . وقد ذكر عبيد في حضرة الخليفة اخبار عاد وثمود وجرهم وخروجهم من اليمن الى الحرم وغير ذلك وكلها مشفوعة باشعارهم ، وكان معاوية يطلب الى راويته المرة بعد المرة ان يسمعه ما قيل في كل حادثة من الاشعار ومما قاله له (ص ٣٥٢) : «وقد علمت ان الشعر ديوان العرب والدليل على احاديثها وافعالها والحاكم بينهم في الجاهلية وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول (ان من الشعر لحكماً) .» وقد كان معاوية معجباً جداً بما سمع من عبيد بن شرية ، وقال له مرة « خليق ياعبيد ان يكون هكذا فزادك الله علماً وفهماً وزادنا بك رغبة وعليك حرصاً فانا لا نحصي اياديك فزادك الله فضلاً الى فضل وهدى الى هدى ... »

ويقال في الجملة ان كتاب اخبار عبيد بن شرية الجرهمي في اخبار اليمن وهو من

اوائل ما دوّن في الاسلام كان منه حل الاشكال الذي استعصى على كثير من الباحثين وبه ثبت ان المسلمين دونوا في زمن اسبق بكثير مما دون المصنفون ولذلك حفظت السنة واخبار الجاهلية واشعارها فقد ذكر الجلال السيوطي في « تدريب الراوي » في فصل يستحب للمحدث العارف عقد مجلس لاملاء الحديث فانه اعلى مراتب الرواية — رواية ابن عدي والبيهقي في المدخل من طريقه انبأنا عبد الصمد بن عبد الله ومحمد بن بشر الدمشقيان قالا حدثنا هشام بن عمار حدثنا ابو الخطاب معروف الخياط قال رأيت واثلة ابن الاسقع رضي الله تعالى عنه يملي على الناس الاحاديث وهم يكتبونها بين يديه (ويتخذ مستمليًا محصلاً متيقظاً يبلغ عنه اكثر الجمع على عادة الحفاظ) في ذلك كما روي عن مالك وشعبة ووكيع وخلائق وقد روى ابو داود والنسائي من حديث رافع بن عمر قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس بمنى حين ارتفع الضحى على بغلة شهباء وعليّ يعبر عنه ، وفي الصحيح عن ابن حمزة قال : كنت اترجم بين ابن عباس وبين الناس فان كثر الجمع بحيث لا يكفي مستمل اتخذ مستملين فاكثر الى آخر ما قال .

وواثلة بن الاسقع بن عبد العزّى من اهل الصفّة وسمع على مافي طبقات ابن سعد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قبض رسول الله خرج الى الشام ومات سنة ثلاث (وقيل خمس) وثمانين وهو ابن ثمان وتسعين سنة وقيل مئة وخمس سنين وكان ينزل بيت المقدس ومات بها ويشهد المغازي فيمر بدمشق وحمص .

والمعروف ان الرسول عليه السلام نهى ان يكتب عنه اولاً غير القرآن ونهي عن كتابة الحديث لئلا يختلط بالقرآن . وفي مفتاح السنة للاستاذ الخولي وهذا لا ينافي جواز كتابته اذا أمن اللبس وبذلك يحصل الجمع بين هذا وبين قوله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي توفي فيه (ائتوني بكتاب اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده) وقوله عام الفتح : (اكتبوا لابي شاه) واذنه لعبد الله بن عمر بتقييد العلم . وابو شاه كان من الصحابة قال : اكتبوا لي فقال النبي اكتبوا لابي شاه يريد خطبته ففيه دليل على كتابة العلم ونسخ النهي عن كتابة الحديث . وصح عن عبد الله بن عمر انه كان يكتب حديثه وكان ما كتبه صحيفة تسمى الصادقة وهي التي رواها حفيده عمرو بن شعيب عن ابيه عنه وهي من

اصح الاحاديث ، وكتب رسول الله كتاب الصدقات والديات والفرائض والسنن لعمرو ابن حزم وغيره ،وعن هشام بن عروة عن ابيه انه احترقت كتبه يوم الحرة في خلافة يزيد وكان يقول : « لو ان عندي كتبي باهلي ومالي » .

وبعد ان اوردنا هذه الروايات التي لاسبيل الى تزييفها لورودها من طريق مأمونة مضمونة وساعدنا على تأييدها طبع كتاب اخبار اليمن لعبيد بن شرية ثبت كل الثبوت ان المسلمين باكروا التدوين اكثر مما ظن الظانون وان دعوى كون اشعار الجاهلية مصنوعة قد ردت بشهادات لا يسع الماحكين الا اعتقاد صحتها والله اعلم .

محمد كرد علي



تقسيم نوب الماء

ووضع اسماء عربية لساعاتها

جاءني كتاب من السيد زكي بقلة احد كبار المزارعين في (كفرسوسا) قال فيه :
ارجو التفضل ببيان اسماء الاربع والعشرين ساعة الزمانية اليومية لقضية تتعلق بتقسيم نوُب الماء الخ :

هذا ما سألنيه السيد المذكور . ولا يخفى ان دمشق من اكثر بلاد الله قنوات فقد احصى ابن عساكر في تاريخه الكبير قنواتها فبلغت ١٣٠ في داخلها و ٢٠ في ظاهرها و بلغت حماماتها ٥٧ حماماً سوى حمامات القرى . والبلاد التي تسقى أراضيها بمياه السيح يقع بين ار بابها نزاع وخصام بشأن سقي اراضيهم ولاسيما ايام (التحاريق)[1] وكثيراً ما ادى النزاع حول سكور الماء . الى سفك الدماء . ومما له علاقة بذلك ان شاعراً جاهلياً بخس حقه في مائه فجعل يبكي فقالوا له مالك ؟ أجننت ؟ فأنشد .

(وقالوا قد جننت فقلت كلاّ وربي ما جننت ولا انتشيت)
(ولكني ظُلمت فكدت أبكي من الظلم المبين أو بكيت)
(فإن الماء ماء أبي وجدي وبئري ذو حفرت وذو طويت)

بل ان النزاع على الماء بلغ أمره الى أبعد من هذا : كما قص الوحي الآلهي علينا ذلك في القرآن في خبر ناقة صالح مذ قال تعالى (هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم) فمنعوها حقها في شربها وعقروها فاهلكهم الله تعالى .

والنصيب المعين من الماء يقال له في اللغة (شرب وسقي وقلد) بكسر أولها و يقال له في اصطلاح المزارعين (نوبة) و (عدّان) . وقد اصطلحوا في دمشق على تقسيم ساعات اليوم الى قسمين يسمونهما مصراعين (مصراع نهاري) وهو ١٢ ساعة (ومصراع ليلي) وهو ١٢ أيضاً . ولهذه الساعات عندهم اسماء بعضها عربي فصيح وبعضها مولد: فمن الفصيح كلمات (غداة) (ظهر) (عصر) (استواء) (طلوع) (غياب) (سحر) فيقول المزارع

(١) اي قلة المياه وهي من مصطلحات المزارعين المصريين .

الكفرسوسي مثلاً (حق فلان من الشرب من أذان السحر الى الاستواء) اي الى وقت الزوال . و يقول المزي (حقه من الغد الى العصر) والديراني (من الطلوع الى الغياب). ولهم تعابير اصطلاحية تختلف باختلاف المناطق الزراعية من ذلك قول المزارع الشاغوري مثلاً (حق فلان من المادنة لى الظهرية) أو (من المراسلة الى الظهرية) و يعنون بالمادنة تأذين المؤذنين سحراً في المآذن كما يعنون بالمراسلة تلك التهاليل والتسابيح التي ينشدونها بتطريب من على المآذن في الثلث الاخير من الليل . و يقول الشاغوري ايضاً (حق فلان من المادنة الى ثمانية اقدام صباحاً) أو (من الظهرية الى ثمانية اقدام مساء) أي الى أن يصير ظل الشخص ثمان اقدام صباحاً وهذا وقت الضحوة او ثمانية اقدام مساءً وهذا وقت العصر .

هذا نموذج من التعابير الاصطلاحية وهي كما يرى القارئ عتيقة بالية مختلفة باختلاف المناطق الزراعية ولم تعد صالحة لهذا الزمن الذي اخذت فيه لغتنا العربية تنتعش من كبوتها كما اخذت حكومتنا تعني بالصحيح من الاساليب العربية تودعها قيودها وسجلاتها واوراق معاملاتها . وهذا ما حمل السيد زكي بقلة على استفتائنا في وضع كلمات فصيحة لساعات المصراعين الليلي والنهاري .

واصطلاح تقسيم ساعات اليوم يختلف باختلاف الامم منذ القدم حتى قالوا : إن الاصل في تقسيم النهار والليل الى أجزاء متساوية امر مجهول . وغاية ما علم من ذلك أن بعض القدماء قسم اليوم الى (٦٠) ساعة اي حصة من الزمان كالهنود و بعضهم الى (١٢) ساعة كالمصريين والصينيين فساعتهم ساعتان من ساعات زماننا . وبعضهم جعل الليل ١٢ ساعة والنهار ١٢ ساعة وهو اصطلاحنا اليوم .

وكما اختلف القدماء في تقسيم الساعات اختلفوا في ساعة الابتداء : فبعضهم جعلها الغروب وبعضهم الشروق . قالوا : ولا يخلو هـذا التقسيم من خلل لاختلاف أوقات الشروق والغروب باختلاف الفصول حتى قام (أبَّرخوس) الفلكي اليوناني سنة (١٥٠ ق م) فضبط ساعات الليل والنهار وقسمها الى قسمين : أولهما يبتدئ في منتصف الليل ، والآخر في منتصف النهار وهو الزوال . وقد جرى الاوربيون على ذلك ثم احدثوا أخيراً بدعة جديدة لفَّقوا فيها بين اصطلاح (أبرخوس) في جعل ساعة الابتداء نصف

الليل وبين اصطلاح آخر للقدماء وهو اعتبار مجموع ساعات الليل والنهار (٢٤) ساعة قسمة واحدة لا قسمتين ليلية ونهارية . فالساعة الاولى تبتدئ في منتصف الليل حتى اذا تمت الساعات الاثنتا عشرة في منتصف النهار لم يبتدأ منه بساعة مستأنفة بل بساعة متممة رقمها ١٣ ثم ١٤ الى ٢٤ وقد أخذ هذا الاصطلاح في الشيوع بيننا اليوم ولم يألفه الناس بعدُ . ومن لطيف ما يروى ان النهار في اصطلاح العرب الأقدمين يبتدئ ايضاً من نصف الليل و ينتهي في نصف النهار ثم يبتدئ الليل من نصف النهار و يدخل وقت المساء حتى ينتهي في نصف الليل .

وقد ذكر البغدادي في رسالته التي جعلها ذيلاً لفصيح ثعلب ذلك فقال : « الصباح عند العرب منذ نصف الليل الاخير الى الزوال ثم المساء الى آخر نصف الليل الأول » فالعرب في هذا (التقسيم) و (الابتداء) كأنهم تواردوا مع (أبرخوس) اليوناني على هذا الاصطلاح .

اما النهار الشرعي الذي يتعلق به الصوم والصلاة فأوله عند اهل السنة الصبح الصادق الى غروب الشمس . والليل الشرعي من غروبها الى انبلاج الصبح الصادق .

وقريب من النهار والليل الشرعيين النهار والليل في اصطلاح المزارعين اليوم . فان النهار عندهم من الشروق الى الغروب ثم الليل من الغروب الى الشروق وساعاتهما ٢٤ ساعة . وهذا (التقسيم) و (الابتداء) هما اللذان نعتمد عليهما في وضع ألفاظ عربية لساعات نوب الماء . والا فان تخطي هذا الاصطلاح المألوف الى اصطلاح آخر ربما شوّش على المزارعين أمرهم وحال بينهم وبين الانتفاع بالأوضاع الجديدة التي نريد ان نعرضها عليهم .

والألفاظ التي يطلقها العرب على ساعات الليل والنهار كثيرة جداً وقد تتبعتها في كتاب (المخصص) فبلغت زهاء ١٧٠ اسماً نصفها لليل ونصفها للنهار ومعظمها من قبيل المترادف كالعتمة والفحمة . والصبح والفجر . والهاجرة والظهيرة . والشروق والذرور . والغروب والغياب . واذا كان هناك فرق بين كل كلمتين فهو اعتباري له علاقته بالاشتقاق اللغوي غالباً .

وعلى هذا يمكننا إرجاع هذه الكلمات الكثيرة الى اربع وعشرين كلمة فقط نكتفي بها في تسمية ساعات الليل والنهار وتمييز احداها عن الاخرى .

وكلمة (ساعة) في اللغة العربية لا يراد بها ساعتنا الزمانية المركبة من ستين دقيقة . والدقيقة من ستين ثانية . والثانية هي اللحظة من الزمان تسع قولك (واحد) — كلا لا يعرف العرب هذا الاصطلاح الفلكي الطارئ . وانما يريدون بالساعة الحصة من الزمن قلّت اوكثرت . قال في (المصباح) « الساعة الوقت من ليل او نهار والعرب تطلقها وتريد بها الحين والوقت وان قلّ . وعليه قوله تعالى : لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » اه .

واذا سمعت بعض ارباب المعاجم المتأخرين يقولون إن الساعة جزء من أجزاء الليل والنهار وهي اربع وعشرون ساعة فاعلم ان مرادهم الإشارة الى الاصطلاح الفلكي الخالف لا اللغوي السالف .

وتسمية ساعات الليل والنهار عند العرب مبنية على الكيفية لا الكمية اي على أحوال الشروق والغروب والحر والبرد والظلام والنور وأحياناً التوسط كالبهرة مثلاً فانها اسم للساعة الوسطى من الليل . وما كان العرب يبنون تسميتهم على الكمية فيحددوا الساعة بستين دقيقة والدقيقة بستين ثانية ، بل كانوا اذا احتاجوا الى التحديد استعاروا كلمة (الفواق) مثلاً وهو مقدار مابين الحلبتين من الزمن فيقولون (عيادة المريض قدر فواق ناقة) . وفي الاسلام كانوا يقولون (أقام عندنا مقدار صلاة ركعتين مثلاً) اذ أن تحديد الزمان يعتمد على قواعد علم الفلك وآلاته . ولم يكن العرب القدماء يمارسون هذا الفن ولا يستعملون بنكاماته[1] . والساعات المائية والرملية انما استعملت في حضارة الاسلام . ومنها الساعة المائية التي أهداها هرون الرشيد الى شارلمان فرنسا . وكان مثلها في جامع بني أمية في دمشق وقد وصفها ابن جبير في رحلته .

هذا هو الشأن في أجزاء الزمان ومفهوم ساعاته عند العرب . ثم جاء القرن الرابع للهجرة : وهو الزمن الذي كان فيه للعرب القدح المعلى في الطب والهندسة والفلك فاصطنعوا الأزياج ورسموا الأفلاك وشيدوا المراصد — في ذلك العهد كان يعيش عالمان نبيلان وهما حمزة بن حسن الاصفهاني في فارس وابو جعفر النحاس المصري

(١) جمع بنكام وهي كما في شفاء الغليل الساعة النجومية من الرمل وقد حرّفته العامة قديماً فقالوا منكاب . واصل اللفظ يوناني .

(المتوفى سنة ٣٣٨ هـ) في مصر فتوارد خاطراهما على اصطلاح جديد في تقسيم الليل والنهار الى أجزاء أو ساعات متساوية وهي (٢٤) ساعة : لليل ١٢ وللنهار ١٢ . ثم خصّا كل ساعة منها باسم عربي من الأسماء او الأوصاف الكثيرة التي سردها صاحب (المخصص) . وربما كانا في هذا الوضع متأثرين باصطلاح الفلكيين القدماء ولا سيما (ابرّخوس) اليوناني كما مر .

وقد رتّب كل من (حمزة الاصفهاني) و (النحاس المصري) قائمة باسماء الساعات كما بدا له نذكرهما فيما يلي :

« قائمة حمزة الاصفهاني »

(ساعات النهار)		(ساعات الليل)	
الساعة الاولى	الشروق	الساعة الاولى	الشَفَق
« الثانية	البكور	« الثانية	الغَسَق
« الثالثة	الغدوة	« الثالثة	العَتَمة
« الرابعة	الضحى	« الرابعة	السُدْفة
« الخامسة	الهاجرة	« الخامسة	الفَحْمة
« السادسة	الظهيرة	« السادسة	الزُلّة
« السابعة	الرواح	« السابعة	الزُلْفَة
« الثامنة	العصر	« الثامنة	البُهرة
« التاسعة	القَصْر	« التاسعة	السَحَر
« العاشرة	الأصيل	« العاشرة	الفجر
« الحادية عشرة	العشيّ	« الحادية عشرة	الصبح
« الثانية عشرة	الغروب	« الثانية عشرة	الصباح

ورأيُ الاصفهاني في هذا الوضع محض اصطلاحٍ له والا فأيُّ فرق بين الصبح والصباح وهما واحد عند اهل اللسان . ومما يدل على كونه اصطلاحاً ايضاً ان الثعالبي بعد ان سرد قائمة حمزة هذه في كتابه (فقه اللغة) تبرأ من تبعتها قائلاً (إن عليه اي على الاصفهاني عهدتها) . ودليل آخر ايضاً وهو ان الهمذاني صاحب كتاب الألفاظ

الكتابة عقد فصلاً لساعات الليل والنهار فجعل ساعات النهار ست عشرة ساعة وساعات الليل سبعاً .

ودليل رابع ايضاً : ذلك ان علماء اللغة اذا ذكروا أسماء ساعات الليل والنهار في معاجمهم كالقصر مثلاً فلا يقولون هي الساعة التاسعة من ساعات النهار وانما يكتفون بقولهم (زرت فلاناً قصراً) اي عشياً ، واذا قالوا (البُهرة) لم يقولوا هي الساعة الثامنة من ساعات الليل وانما يقولون ان البُهرة وسط الليل كما ان بُهرة الحلقة وسطها و بهرة الوادي وسطه .

بقيت كلمة (الزُآة) من اسماء ساعات الاصفهاني فاني لم أجد لها في كتب اللغة معنىً زمانياً كأخواتها وأرجح ان يكون صوابها (الزَآة) بفتح الزاي لا ضمها ومعناها العُرس والعُرس إهداء العروس الى زوجها وهذا يكون في الليل بل في وسطه عادة . ومنه التعريس وهو نزول المسافرين آخر الليل للنوم والاستراحة ، والاصفهاني جعل الزآة اسماً للساعة السادسة من ساعات الليل .

اما قائمة ابي جعفر النحاس المصري فقد اثبتها في كتابه (وصف صناعة الكتّاب) وهي هذه :

« قائمة النحاس المصري »

(ساعات النهار)		(ساعات الليل)	
الساعة الاولى	الذرور (أو) البكور	الساعة الاولى	الشاهد
〃 الثانية	البزوغ (أو) الشروق	〃 الثانية	الغَسَق
〃 الثالثة	الضحى (او) الاشراق	〃 الثالثة	العَتَمة
〃 الرابعة	الغزالة (او) الرأد	〃 الربعة	الفحمة
〃 الخامسة	الهاجرة (أو) الضحى	〃 الخامسة	الموهن
〃 السادسة	الزوال (او) المُتوع	〃 السادسة	القِطع
〃 السابعة	الدلوك (او) الهاجرة	〃 السابعة	الجوشن
〃 الثامنة	العصر (او) الاصيل	〃 الثامنة	العنكة
〃 التاسعة	الاصيل (او) العصر	〃 التاسعة	الشباشير

(ساعات النهار)		(ساعات الليل)	
الساعة العاشرة	الصبوب (او) الطفل	الساعة العاشرة	الفجر الاول
« الحادية عشرة	الحدور (او) العشيّ	« الحادية عشرة	الفجر الثاني
« الثانية عشرة	الغروب	« الثانية عشرة	المعترض

وفي هذه القائمة كلمات تحتاج الى تحليل وتفسير كالمتوع والصَبوب والشاهد والجوشن والعتكة والمعترض واذا فسرناها خرجنا عن الصدد. وقد زادنا النحاس حيرة مذ خيرنا في ساعات النهار بين ان نقول كذا أوكذا وهذا دليل خامس على ان وضع هذه الاسماء إزاء الساعات اصطلاح محض لا يعرفه العرب على هذا الترتيب والتخصيص .

وقد اعتمدنا في نقل هاتين القائمتين على كتابي (نهاية الارب) للنويري و (فقه اللغة) للثعالبي ثم ذكرها كل من العاملي في كتابه (الكشكول) والسيوطي في كتابه (الكنز المدفون) .

ومرت مئات من السنين ولم يكن لهاتين القائمتين فائدة عملية حتى اخذ المزارعون في دمشق اليوم يفكرون في تنظيم (عدادين) الماء وضبط ساعاتها والتساؤل عما اذا كان من الممكن وضع اسماء لها واذ ذاك احتجنا الى الاستفادة من قائمتي الاصفهاني والنحاس جزاهما الله عنا خيراً .

غير ان في القائمتين ألفاظاً غريبة غير مأنوسة ولا مألوفة للزارعين وهذا ما يحملنا على وضع قائمة ثالثة مستخرجة من القائمتين المذكورتين ننتقي منهما أسهل الكلمات واقربها تناولاً من أفهام القرويين وهم الذين عليهم جل الاعتماد في استعمال الكلمات وإذاعتها وهذه هي قائمتنا :

❊ القائمة التي ينبغي التعويل عليها اليوم ❊
« في تسمية ساعات الليل والنهار »

(ساعات النهار)		(ساعات الليل)	
الساعة الاولى	الشروق	الساعة الاولى	الشَفَق
« الثانية	البكور	« الثانية	الغَسَق
« الثالثة	الغدوة	« الثالثة	العَتَمة

(ساعات النهار)

الساعة الرابعة	الضحى
« الخامسة	الهاجرة
« السادسة	الزوال
« السابعة	الرواح
« الثامنة	العصر
« التاسعة	الأصيل
« العاشرة	الطَفَل
« الحادية عشرة	العشيّ
« الثانية عشرة	الغروب

(ساعات الليل)

الساعة الرابعة	الفحمة
« الخامسة	المَوْهِن
« السادسة	القِطع
« السابعة	الزُلفة
« الثامنة	البُهرة
« التاسعة	السَحَر
« العاشرة	الفجر الاول
« الحادية عشرة	الفجر الثاني
« الثانية عشرة	الصباح

ولم نجد بدأ من اختيار القِطع للساعة السادسة الليلية هرباً من كلمة (الزلّة) التي اختارها الاصفهاني لانها مشكوك فيها كما أشرنا . على ان كلمة (القِطع) قرآنية قال تعالى (فأسر بأهلك بقطع من الليل) ونقل المفسّر الطبري عن ابن عباس انه فسّر (القطع) بجوف الليل .

هذا مارأيناه في وضع أسماء الساعات للمصراعين الليلي والنهاري نعرضه على اخواننا أعضاء المجمع العلمي وغيرهم من اهل الفضل ولاسيما المزارعين منهم .

واذا حازت هذه القائمة القبول لديهم وارتضوها لعروبة الفاظها ولما فيها من توحيد اصطلاحات المناطق الزراعية كان عليهم امر نشرها وتعميمها وذلك يكون باستعمالها وتعويد ألسنتهم إياها قولاً وكتابةً فلا تمضي سنة او سنتان حتى تشيع وتؤلف وتصبح مفهومة من دون تفكير : فاذا قالوا مثلاً (حق فلان في الشرب من الطَفَل الى القِطع) او (من الأصيل الى الموهن) فهموها كما يفهمون اليوم قولهم (من المادنة الى الظهر) او (من المراسلة الى ثمانية أقدام صباحاً) وتوطين النفس على الشيء كفيل بتسهيل عقباته . وتذليل صعوباته إن شاء الله .

«المغربي»

جامع التواريخ

نشوار المحاضرة او اخبار المذاكرة

٦

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابو الحسن احمد بن محمد الكاتب المعروف بابن ابي عمر كاتب المحسن بن الفرات وكان ممن تقلد بعد آل الفرات عدة اعمال كبيرة جليلة ودواوين عظيمة حتى تقلد الازمة صارفاً للخصيبي في ايام ابن رائق وقتل بديار مضر قتله عمار القرمطي . وقد كان ابو الحسن متقلداً لديار مضر من قبل ابن رائق فاغار عليها عمار ليتملكها عاصياً فطالبه بالمال لاصحابه فقال ما معي شيء ولو قتلتني وصلبتني . فقال علي أن أفعل بك ذلك فقتله وصلبه في يوم عيد الفطر من سنة ٢٩ فلم يزل ابن رائق يحتال على عمار حتى حضر مجلسه وتركه اياماً مع جيشه ثم قبض عليه وبحضرته وجوه الاتراك المستأمنة الى ابن رائق بالشام من اصحاب بجكم فامرهم بدقه بالاعمدة فلما كاد ان يموت قال اذيقوه حد السيف فاخذ رأسه وصلبه في المكان الذي صلب فيه عامله ابن ابي الحسين (١) قال ابو الحسين فحدثني ابو الحسن ابن ابي عمر هذا قال حدثنا ابو عبد الله حمد بن محمد القنائي ابن اخت الحسن بن مخلد . قال حدثنا ابو محمد خالي . قال سمعت ابا اسحاق ابراهيم بن العباس الصولي يقول حدثت عن المأمون عن الرشيد انه سمع المهدي يقول بعد زوال امر ابي عبيد الله عن الوزارة واقتصاره على

«١» يريد ابن ابي عمر .

ديوان الرسائل وعلى الجلوس في منزله وتفويض الامر الى يعقوب بن داود ما رأيت احزم ولا افهم ولا اكف ولا اعف من ابي عبيد الله ولقد كنت احبه من (١) اجرائي اياه مجرى الوالد منذ خدمني اجتهد به ان يدعوني الى داره فيمتنع ويزعم انه لا تتسع همته ولا نعمته لذلك الى ان اعتل علة عظيمة فتمادت الايام به ولم اعده الى ان كتب الي باستقلاله (٢) وانه قد عمل على الركوب الي بعد يوم او يومين فسابقته وركبت اليه في جف (٣) من غلماني وخاصتي فلما دخلت اليه قلت له قد كنت اجتهد بك ان تدعوني فتأبى والآن قد جئتك جامعاً للعيادة والتهنئة بالعافية والدعوة . فقال والله يا امير المؤمنين مالي طعام ولا غلمان ولا زي يصلح لدعوتك . فقلت قد فرغت لك من ذلك وتقدمت الى غلماني بحمل الآلات والطعام والاشربة وجميع ما يحتاج اليه وانما اردت تشريفك والانس بك. قال وجاء الغلمان بالآلات وفرش لي وجلست وهو معي فاكلنا وجعل يتحفني من منزله بالفاخر من الفرش والآنية والآلات هدية لي كما يفعل الناس فاخذت كلما يحمله من احسن شيء واجمله وارشقه فازداد ابتهاجاً به . ثم دعوت بالشراب فلما شربت ثلاثة فقط عملت على الانصراف فلما احس بذلك قال لي اريد ان ابكي وانا اتطير ان ابكي بعد انصراف امير المومنين وانا استأذنه في البكاء بحضرته قال وتحدرت دموعه عقيب (٤) الكلام فبكى بكاء شديداً فقلت

« ١ » لعله مع . «٢» م : ع اي شفائه لعله من القلة اي النهضة من العلة و يحتمل ان يكون محرفاً عن استبلاله . «٣» م : ع . الجف والجفة و يضمان الجماعة او العدد الكثير . «٤» م : ع تقدم الكلام عليها .

له يا هذا انا اعلم ان فيك شحاً تسميه حسن التدبير وما يحسن منك فان كان ندماً على ما اهديته فهو مردود بلا شك قال فحلف بايمان عظيمة ويزعج (١) ازعاجاً شديداً انه مابكي لذلك وقال كيف ابكي على ما سيبلى اسرّ به حيث جعلتني اهلا لقبوله قال فقلت فلم تبكي ؟ قال لم تبق مرتبة تنال الا وقد نلتها و بلغتها بفضل امير المؤمنين وتطوله حتى انتهت بي الحال الى ان وصلت من مال امير المؤمنين بامره وعن امره في ليلة واحدة وهي ليلة ورد الخبر بوفاة امير المؤمنين المنصور صلوات الله عليه وأخذت بيعة ثانية لامير المؤمنين على الناس — بعشرة آلاف الف درهم وفي هذه العلة تصدقت بجميع ما في خزانتي من المال وكان اربعة آلاف الف بعد ان استأذنت امير المؤمنين فاذن لي ولم يكن بقي الا ان يعودني امير المؤمنين من علة او يهنئني بحال متجددة او يصير الى دعوتي . فلما كان اليوم جمع امير المؤمنين لي ذلك فعلمت اني قد بلغت النهاية وانه ليس بعدها الا الانحطاط فبكيت لذلك . قال فرققت له وعلمت فضله وقلت له اما في ايامي فانت آمن من ذلك وان اصابك شيء بعدي فالحياة على كل حال خير من الموت ولك فيّ اسوة واعتقدت ان لا انكبه فلما رأى الربيع عظم منزلته حسده فجد في السعاية اليّ به والفساد بيننا والحيلة عليه عندي الى ان جرى في امر ابيه واقراره بالزندقة ما لم يسع معه ان لا يقتل فقتلته وخفت ان يكون قد استوحش لذلك فلم آمنه على نفسي فاحتجت الى صرفه فصرفته

«١» م : ع كذا في الاصل ولعله وانزعج انزعاجاً .

وحرست نفسه و بقيت نعمته واستحال الامر عما عقدته له وكان الامر على ما ظنه من النقصان بعد التناهي .

حدثني (١) (ابو الحسين) قال سمعت علي بن عيسى يحدث دفعات عن ابيه انه سمع اباه يحدث عن جده عن مشايخ اهل العلم باخبار الفرس وايامهم قالوا معنى قولهم النهروان بالفارسية ثواب العمل قالوا وانما سمي نهر النهروان بذلك لان بعض ملوك الاكاسرة كان قد غلب عليه بعض حاشيته حتى دبر اكثر امره وترقت منزلته عنده وكان قبل ذلك من قبل صاحب المائدة مرسوماً باصلاح الالبان والكواميخ (٢) ثم علت حاله فكان صاحب المائدة يتحسر كيف علت حال هذا وقد كان تابعاً له وغلب على الملك وكان مع ذلك الرجل يهودي ساحر محذق (٣) فقال له مالي اراك مهموماً فحدثني بامرك لعل فرجك على يدي . قال فحدثته فقال له اليهودي ان رددتك الى منزلتك مالي عندك قال اشاطرك حالي ونعمتي وجميع مالي فتعاهدا على ذلك فقال اظهر وحشة تجري بيننا وانك قد صرفتني ظاهراً ففعل ذلك به فصار الى الرجل الغالب على الملك فحدثه وتقرب اليه بما جرى عليه من الرجل الاول ولم يزل يحدثه مدة طويلة حتى انس

«١» معجم البلدان لياقوت ٤ : ٨٤٧ . «٢» م : ع الكامخ بفتح الميم اشهر من كسرها ما يؤتدم به ومنهم من خصه بالمخللات المستعملة لتشهي الطعام جمعه كوامخ بغير ياء كما في المغرب والمصباح وقد ذكرت كذلك كما في مادة سكرج في اللسان والنهاية والتاج . «٣» م ؛ ع كذا في الاصل والظاهر انه مخرق اي مموه مشعوذ وفي ياقوت حاذق .

به ذلك الرجل فلقيه في بعض الايام ومع غلامه غضارة (١) ذهب فيها شيراز في نهاية الطيبة يريد ان يقدمه الى الملك فقال ارني هذا الشيراز فقال الرجل لغلامه اره اياه فاراه فخاتل الرجل والغلام واخذ باعيانهما (٢) بسحره وطرح في الشيراز قرطاساً كان معه فيه سم ساعة وغطا (٣) الغلام الغضارة الكبيرة ومضى ليقدمها اذا قدمت المائدة فبادر اليهودي الى صاحب المائدة الاول وقال له قد فرغت من القصة وعرفه ما عمله ووصف له الغضارة وقال له امض الساعة الى الملك فقل هذا اراد ان يسمك في هذه الغضارة فلا تأكلها وجربها فانه سيجربها على كلب او غيره فيموت في الحال فتقتل عدوك ويشكر لك فيردك الى مرتبتك . قال فبادر الرجل فوجد المائدة تريد ان تقدم الى الملك فحين قدمت تقدم اليه وقال ايها الملك ان هذا يريد ان يسمك في هذه الغضارة وهي مسمومة بسم ساعة فلا تأكلها فراع الملك وامر بتجريب الشيراز على حيوان . فقال الرجل قد كذب هذا وليس يحتاج الى حيوان انا آكل من هذه الغضارة ليعلم الملك كذبه قال والرجل لا يعلم ما في الغضارة . فبادر فاكل منها لقمة فتلف في الحال . فقال صاحب المائدة الاول انما اكل ايها الملك من ذلك ليتلف لما علم انك تجرب ذلك فتجده قاتلا فخاف ان تعذبه فاستروح الى هذا فلم يشك

«١» م : ع الغضارة القصعة الكبيرة كما في المغرب والشيراز اللبن الرائب اذا استخرج ماؤه

«٢» م : ع كذا هنا وفي ياقوت باعينهما .

«٣» م : ع غطا الشيء يغطوه كغطاه يغطيه .

الملك في صحة الامر ورد الى صاحب المائدة الاول ما كان اليه واكرمه وعظمه ومضت السنون على ذلك . قال وعرض للملك علة كان يسهر من اجلها في اكثر الليالي فكان يخرج وحاشيته غافلون فيطوف في صحون داره وحجرها وبساتينها ويقف على ابواب حجر نسائه وغلمانه فيتسمع عليهم ويعلم ما يتحدثون به فانتهى في ليلة في طوفه (١) لاجل السهر الى حجرة فيها ذلك اليهودي وقد خلطه صاحب المطبخ بنفسه وغلمانه وهو جالس يحدث بعض اصحاب المطبخ ويتشكا (٢) اليه ويقول انه يقصر في حقي ويعدد تقصيره في حقه. ثم قال انا اصل نعمته وما هو فيه . فقال له الذي كان يحدثه وكيف صرت اصل نعمته قال وتكتم ذلك ؟ قال نعم فحدثه بحديث الشيراز والسم فلما سمع الملك ذلك قامت قيامته واحضر الموبذ من غد وحدثه بالحديث وشاوره فيما يعمله مما يزيل عنه إثم ذلك الفعل في معاده فامر بقتل اليهودي (٣) والاحسان الى عقب (٤) ن كان للذي قتل نفسه وقال ولا يزيل عنك اثم هذا الا ان تطوف (٥) عملك حتى تنتهي الى بقعة خراب فتستحدث لها عمارة ونهراً وشرباً فيعيش الناس بذلك في باقي الدهر بدلا من موت ذلك الرجل فتمحص عنك الاثم ففعل الملك ذلك وطاف اعماله حتى بلغ موضع النهروان وهي خراب فاجمع رأيه على حفر النهر

«١» م : ع . اي طوافه . «٢» م : ع . كذا في الاصل والصواب يتشكى وهي كذلك في ياقوت . «٣» زاد ياقوت: وصاحب المائدة . «٤» م : ع . في ياقوت الى عقب الذي كان قتل نفسه . «٥» م : ع . في ياقوت تطوف في عملك .

فيه فحفر وسماه ثواب العمل لاجل هذه القصة ·

حدثني (١) ابو الحسين قال حدثني ابو الحسن الايادي الكاتب صديق الكرخيني (٢) قال دفع الي ابو احمد عبد الوهاب بن الحسن بن عبيد الله ابن سليمان رقعة ابي الحسين جعفر بن محمد بن ثوابة بن خالد الكاتب الى جده عبيد الله وقال لي كان الى ابي الحسن بن عبيد الله ديوان الرسائل وديوان المعاون في جملة الدواوين التي كانت اليه في ايام ابيه فامر الوزير عبيد الله ابي ان يستخلف ابا الحسين بن ثوابة على ديوان الرسائل والمعاون وصار كالمتقلد له من قبل الوزير لكثرة استخدامه له فيه وكانت هذه الرقعة سبب ذلك ثم مات ابي فاقره جدي على الديوان رياسة وبقي عليهم يتوارثونه مرة رياسة ومرة خلافة فما سمع برقعة اولى (٣) منها وهي في غاية الحسن ونسختها قد فتحت للمظلوم بابك ورفعت عنه حجابك فانا احاكم الايام الى عدلك واشكو صرفها الى عطفك واستجير من لوم غلبتها بكرم قدرتك فانها توءخرني اذا قدمت وتحرمني اذا قسمت فان اعطت اعطت يسيراً وان ارتجعت ارتجعت كثيراً ولم اشكها الى احد قبلك ولا اعددت للانصاف منها الا افضلك (٤) ودفع زمام المسألة وحق الظلامة حق التأمل وقدم صدق الموالاة والمحبة والذي يملأ يدي من

«١» معجم الادباء لياقوت ٢ : ٤١٧ «٢» م : ع ، كرخيني قلعة على تل بين دقوق واربل . ذكر في التاج انها بالف مقصورة وفي نسخة بالف ممدودة وفي معجم البلدان بياء ممالة . «٣» لعله سقط . بان تحفظ · «٤» لعله فصلك ،

النصفة ويسبغ العدل علي حتى تكون محسناً اليّ واكون بك للانام (١) معديا ان تخالطني بخواص خدمك الذين نقلتهم من حال الفراغ الى الشغل ومن الخمول الى النباهة والذكر فان رأيت ان تعديني فقد استعديت وتجيرني فقد عذت بك وتوسع عليّ كنفك فقد اويت اليه وتشملني (٢) باحسانك فقد عولت عليه وتستعمل يدي ولساني فيما يصلح ان لخدمتك فيه فقد درست كتب اسلافك وهم الائمة في البيان واستضأت بآرائهم واقتفيت آثارهم اقتفاء حصاني بين وحشي الكلام فانيسه (٣) ووقفني منه على جادة متوسطة يرجع اليها الغالي ويسمو نحوها المقصر فعلت ان شاء الله .

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو الحسن علي بن احمد بن يحي بن ابي البغل وهو اذ ذاك عدل في جوارنا ببغداد ويعاشرني قال حدثني ابو قوصرة المستخرج قال ابو الحسين وقد رأيت انا ابا قوصرة وانا حدث وهو شيخ مسن من بقية القواد المتقدمين وقد لزم منزله وكان الرسم قدماً ان يقلد بعض القواد الذين يفهمون المناظرة الاستخراج قال ابن ابي البغل قال لي ابو قوصرة تقدم اليّ سليمان بن وهب في وزارته للمعتمد لما قبض على الحسن بن مخلد ان ادخل اليه الى الحبس فاطالبه بما صودر عليه فكنت اخشن عليه ظاهراً والين له باطناً واتخبر (٤) له على سليمان واشير

«١» م : ع . في معجم الادباء للايام . «٢» بالاصل وتسمني والصواب عند ياقوت .
«٣» م : ع . في معجم الادباء وانيسه ، ولعله وانسيه . «٤» م : ع . قال في اللسان يقال تخبر الخبر واستخبر اذا سأل عن الاخبار ليعرفها وفي حديث الحديبية انه بعث عيناً من خزاعة يتخبر له خبر قريش .

عليه فوقفت على ان عبيد الله بن سليمان قد عمل على ان يجمع هو وابوه وصاعد بن مخلد وابو صالح بن المدبر وجماعة من الكتاب في مجلس ويخرجوا الحسن فيباهتوه (١) بكل محال لا اصل له ويكابروه على المحالات حتى يضطرونه (٢) بذلك الى الاداء ويرهبوه باخذ خطه بزيادة على ماعليه لانه كان قد بلح وقال لي لم يبق لي ما اؤديه قال فجئته الى الحبس فحدثته بانهم في غد سيخرجونه لذلك قال ففكر ساعة فظننته يفكر فيما يدبر به امره ثم انشدني لنفسه :

من صادر الناس صادروه وكابر الناس كابروه
وباهتوه الحقوق بهتاً وبالاباطيل ناظروه
بمثل ما راح من قبيح او حسن منه باكروه

حدثني ابو الحسين قال كان ابو الفضل عبيد الله بن عبدالله بن الحارث الكاتب من وجوه العمال ثم خلف ابا القاسم سليمان بن الحسن في وزارته الاولى على كبره (على) كثير من امر الوزارة فتكبر على الناس ولم يوفهم الحق فبحثوا عن معايبه واطلقوا الالسن بمثالبه وكان قد اشتهر ان امه تزوجت ازواجاً بعد ابيه وقبله وقيل ان عددهم بضعة عشر رجلا ومنهم رجل يعرف بسوشيخ يبيع الارز باللبن فقال فيه العصفري الشاعر يهجوه وانشدنيها لنفسه :

«١» م : ع . يقال باهته اذا استقبله بامر يقذفه به وهو منه بريء لا يعلمه فيبهت منه . «٢» م : ع كذا في الاصل والاظهر يضطروه .

قالوا ابو الفضل شمخ   وازداد كبراً وبدخ(١)
فقلت مه قولوا له   ياهرل(٢) سوشيخ الوسخ
ما كنت لا كنت بذي   سوشيخ يقرط لأمنخ

وانما اراد ان يطيب (٣) بذاء الشعر مع ذكر امه لان اصله كان من قرية من اعمال واسط بالاسافل يقال لها قلهايا وقد كان ابو الحسين بن عياش القاضي انشدني هذه الابيات قديماً او حكى مثل هذه القصة فأنشد الابيات حتى اذكرنيها ابو الحسين ابن هشام وفي رواية ابن عياش :

ويلك ما كنت بذي

قال ومعنى يقرط لأمخ ينيل أمك ·

حدثني ابو الحسين بن هشام قال حدثني ابو الحسن زكريا بن يحي بن محمد بن ساذان الجوهري قال حدثنا ابو العباس المبرد قال حدثت عن الخليل بن احمد اجتزت في بعض اسفاري وانا متوجه براهب في صومعة فدققت عليه والمساء قد ازف جداً وقد خفت من الصحراء وسألته ان يدخلني قال فقال من انت فقلت انا الخليل بن احمد فقال انت الذي يزعم الناس انك وجهاً (٤) واحداً في العلم بامر العرب فقلت كذا يقولون ولست كذلك قال ان اجبتني عن ثلاث مسائل جوابا مقنعاً فتحت لك واحسنت ضيافتك

«١» م : ع ، بدخ كبذخ تكبر وتعظم ، «٢» قال في محيط المحيط الهرل ولد المرأة من زوجها الاول وهو قاروط له عند العامة . «٣» بالاصل سطب «٤» م : ع كذا في الاصل والصواب وجه واحد ووجه القوم سيدهم ووجيههم .

والا لم افتح لك فقلت وما هي قال السنا نستدل على الغائب بالشاهد قلت بلى قال فانت تقول ان الله تعالى ليس بجسم وعرض ولم نر له مثلا فباي شيء أثبته وانت تزعم ان الناس في الجنة ياكلون ويشربون ولا يتغوطون وانت لم تر آكلا شارباً الا متغوطاً وانت تقول ان نعيم اهل الجنة لا ينقضي وانت لم تر شيئاً الا منقضياً . قال فقلت له بالشاهد الحاضر : استدللت على ذلك كله اما الله تعالى فانما استدللت عليه بافعاله الدالة عليه لا مثل له وفي الشاهد مثل ذلك . الروح التي فيك وفي كل حيوان نعلم انها يحس بها تحت كل شعرة منا ونحن لا ندري اين هي ولا كيف هي ولا ما صفتها ولا جوهرها ثم نرى الانسان من الناس يموت اذا خرجت ولا يحس بشيء وانما استدللت عليها بافعالها وبحركاتها وتصرفنا بكونها فينا . واما قولك ان اهل الجنة لا يتغوطون مع الاكل فالشاهد (١) لا يمنع ذلك الا تعلم ان الجنين يغتذي (٢) في بطن امه ولا يتغوط . واما قولك ان نعيم اهل الجنة لا ينقضي مع ان اوله موجود فانا نجد انفسنا نبتدي الحساب بالواحد ثم لو اردنا ان لا ينقضي الى مالا نهاية له لم نكرره واعداده وتضعيفه الى انقضاء ما . قال ففتح لي الباب واحسن ضيافتي .

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو عبد الله احمد بن سعد مولى بني هاشم وكان يكتب ليوسف القاضي قديماً قال حدثنا اسماعيل بن اسحاق

«١» بالاصل بالشاهد. «٢» م : ع كذا في الاصل والعبارة محرفة. والمعنى ظاهر من سياق الكلام .

القاضي عن اشياخه قال كان عافية القاضي يتقلد للمهدي القضاء باحد جانبي مدينة السلام مكان ابن علاثة وكان عافية عالماً زاهداً فصار الى المهدي في وقت الظهر في يوم من الايام وهو خال فاستأذن عليه فادخله واذا معه قمطرة فاستعفاه من القضاء واستأذنه في تسليم القمطر الى من يامره بذلك فظن ان بعض الاولياء قد غض منه او اضعف يده في الحكم فقال له في ذلك فقال ما جرى من (١) هذا شيء فقال ما سبب استعفائك فقال كان تقدم الي خصمان من شيراز واصبهان في قصة معضلة مشكلة وكل يدعي بينة وشهوداً و يدلي بحجج تحتاج الى تأمل وتثبت فرددت الخصوم رجاء ان يصطلحا او يعين لي وجه فصل ما بينهما قال فوقف احدهما من خبري على اني احب الرطب السكر (٢) فعمد في وقتنا جمع (٣) وهو اول اوقات الرطب الى ان جمع رطباً سكراً لا يتهيأ في وقتنا جمع مثله الا لامير المؤمنين وما رأيت احسن منه ورشا (٤) بوابي جملة دراهم على ان يدخل الطبق الي ولا يبالي ان يرد - فلما ادخل الي انكرت ذلك وطردت بوابي وامرت برد الطبق فرد فلما كان اليوم تقدم الي مع خصمه فما تساويا في قلبي ولا في عيني وهذا يا امير المومنين ولم اقبل فكيف ولو قبلت ذلك ولا آمن ان يقع علي حيلة (٥) في ديني فاهلك وقد فسد الناس فاقلني اقالك الله واعفني. فاعفاه .

«١» بالاصل في . «٢» م: ع السكر رطب طيب شديد الحلاوة . «٣» م : ع كذا في الاصل والظاهر حذف كلمة جمع . «٤» م : ع كذا في الاصل ورشا لا تتعدى الى مفعولين بنفسها وكأنه ضمنها معنى اعطى . «٥» لعله خلل .

حدثني ابو الحسين قال سمعت حامد بن العباس في وزارته يتحدث قال كان صاعد بن مخلد وصفني للناصر لدين الله وعظم عنده من امري حتى اختصصت بخدمته فاستدعاني يوماً على خلوة وقال قد علمت ما لحقنا من هذا العدو يعني صاحب الزنج حتى عدنا الى هاهنا وكان ذلك بعد انهزامه من بين يدي صاحب الزنج وعوده من مقامه بواسط ليستريح و يتأهب للرجوع ويستعد لقتاله وقال لي الناصر وامري كما ترى مختل وجميع ما في خزانتي ثلاثون الف دينار عيناً وهذا لا يقع مني (١) واريد ان تصرف همتك الى ما يتم (٢) معه ويضعف قدره قال فقلت له هاهنا وجه فيه مرفق عظيم فقال ما هو فقلت هـذه اسناية الخيزران ومنها يشرب المبارك باسره و بعض الصلح وكان اقطاعاً لام الرشيد الخيزران فحفرت لها هذه الاسناية (٣) وكانت تغلها غلة عظيمة وقد تعطلت الآن وخرب الصلح والمبارك كله فان صرفت هذه الثلاثين الالف الدينار في حفر الاسناية واطلاق البذر والبقر لاهل هـاتين الناحيتين توليت لك تفرقة ذلك ومشاهـدة الحفر بنفسي حتى لا يضيع منه دانق واحد ولا يرتفق احد بحبة منه وتغل في سنة ضعف هـذا واكثر قال قد فعلت قال فانفقت على حفر الاسناية عشرين الف دينار باتم احتياط وأطلقت العشرة الآلاف الدينار الباقية للضعفـاء من الاكرة والتناء والمزارعين في اثمـان بقر و بذور واحتطت

«١» يريد لا اعتد به . «٢» م : ع كذا في الاصل ولعله ينمو . «٣» لم اجد هذه الكلمة فيما عندي من القواميس ويظهر انها مشتقة من السنو اي السقي .

في جميع ذلك وطالبت الاقوياء بالزراعة من اموالهم وحرصوا هم ايضاً الحرص كله لما رأوا الماء وان الضياع معطلة منذ سنين كثيرة . وطمعوا في كثرة الريع ووفور الاسعار في النواحي فزرع الناس بالرغبة والرهبة حتى استنفدوا جهدهم فلما ادركت حصلت في بيدر واحد من بيادر الصلح وقد كان ارتفع اصل الكيل منه ثلاثة آلاف كر وستمائة كر حنطة بالنصف . فحصلت منه الثلث والعشر على المقاسمة مع الاجور وفضل الكيل الف كر وستمائة كر للسلطان . وبعتها حساب الكر بنيف وعشرين ديناراً فحصل الثمن ستة وثلاثون(١) الف دينار عيناً من بيدر واحد وبقي البلد كله باسره ربحاً فحصل له في اول سنة اضعاف ما انفق مضاعفاً فتقوى بذلك على الرجوع الى الحائن وكان ذلك من اكبر اسباب تقدمي عنده ورفعتي قال وكان حامد (٢) يحدث بهذا عقيب شيء جرى قال حامد معه لا تصلح الدنيا الا بالعمارة والعدل وقمع العمال عن السرقات ثم تحدث بهذا الحديث .

حدثني ابو الحسين قال سمعت ابا الحسن بن الفرات يقول كان ابو الحسن محمد بن فراس الكاتب سبب الوصلة بين القاسم بن عبيد الله والعباس بن الحسن حتى استكتبه له فلما علت حال عباس حسده ابن فراس وعاد يسعى عليه (٣) ويثلبه عند القاسم الى ان اعتل القاسم علة موته فقال

«١» م ، ع كذا في الاصل . «٢» م ، ع ، كذا في الاصل ولعل اصله وكان حامد اذا اراد ان يحدث بهذا عقب شيء جرى قال . معه . لا تصلح الخ .

«٣» م ، ع المعروف سعى به وربما ضمنه معنى نم او نحوها .

ابن فراس ان عباس بن الحسن يسعى في طلب الوزارة مع الداية وصافي الحرمي وانه قد قطع السواد فلم يتقبل ذلك القاسم وكتب الرقعة المشهورة الى المكتفي قال فدخلنا في الليلة التي ولي فيها الوزارة وهو موت القاسم(١) ولم يكن خلع عليه ودخل ابن فراس مهنئاً له فجلس في اخريات الناس وتشاغل العباس بتقليب ثياب السواد وقد جاؤه بها ليختار منها ما يقطع له فيلبسه من غد في دخوله الى الخليفة قبل الخلع حتى يبركه(٢) هناك ويلبس الخلع فوقه وكان الرسم اذ ذاك ان لا يصل احد الى الخليفة في يوم موكب الا بسواد. قال فلما اختار العباس ما يريده من الثياب اقبل علينا وقال معرّضاً بابن فراس لعن الله اهل الحسد والشر سعى قوم على دمي عند ولي الدولة وقالوا له اني قد سعيت في الوزارة واني قد قطعت السواد منذ ايام كثيرة وهذا بحضرتكم على غير تواطيء هو ذا اقلب ثياباً ليقطع منها سواد لي فقام ابن فراس قائماً وقال قد حضرني اطال الله بقاء الوزير بيتان في هذا المعنى فان أذن الوزير ايده الله انشدتهما فاستحيا العباس وقال بحياتي اجلس وانشد فجلس وقال :

تنح عن القبيح ولا ترده ومن اوليتـه حسناً فزده
ستكفى من عدوك كل كيد اذا كاد العدو ولم تكده

حدثنا(٣) ابو الحسن محمـد بن محمـد بن عثمان الاهوازي الكاتب

«١» م ، ع : الظاهر بعد موت القاسم . «٢» بالاصل غير معجم يقال برك اذا ثنى ثوبا . م ، ع : لم نجد برك بهذا المعنى ولعل اصله يركب اي في الموكب . «٣» الفرج بعد الشدة ١ : ٥٥

المعروف بابن المهندس قال حدثني ابن مروان الجامدي قال لما ظلم الناس بواسط ابو عبدالله احمد بن علي بن سعيد الكوفي وهو اذذاك يتقلدها الناصر الدولة وقد تقلد(١) امرة الوزراء والامراء ببغداد كنت احد من ظلم (٢) فظلمني واخذ من ضيعتي بالجامدة (٣) نيفاً واربعين كراً ارزاً بالنصف (٤) من حق رقبتي (٥) سوى ما اخذه من حق بيت المال بغير تأويل ولا شبهة فتظلمت اليه وكلمته فلم ينصفني وكان الكر الارز بالنصف اذ ذاك بثلاثين ديناراً فقلت له قد اخذ سيدنا مني ما اخذ ووالله ما اهتدي انا وعيالي الى شيء سواه ومالي ما اقوتهم به باقي سنتي ولا ما أعمر به ضيعتي وقد طابت نفسي ان تطلق لي من جملته عشرة اكرار وأجعل الباقي له حلالاً فقال هذا ما لا سبيل اليه فقلت فخمسة اكرار فقال لا أفعل قال فبكيت وقبلت يده ورققته وقلت فهب لي منه وتصدق علي بثلاثة اكرار وانت من الجميع في حل وبيعه يطيب (٦) (من) قلبي فقال لا والله ولا أرزة واحدة قال فتحيرت وقلت له فاني أتظلم الى الله عز وجل منك فقال لي كن على الظلامة يكررها دفعات ويكسر الميم بلغة الكوفيين . قال فانصرفت محترق القلب فجمعت عيالي وما زلت أدعو الله عليه ليالي كثيرة فهرب من واسط في الليلة الحادية عشرة من اخذه الارز وجئت الى البيدر فأخذت أرزي وحملته

«١» يعني ناصر الدولة . «٢» بالاصل تظلم . م ع : وتظلم صحيح ايضاً ومعناه شكى الظلم . «٣» م ، ع : الجامدة قرية كبيرة بين واسط والبصرة من اعمال واسط .
«٤» م ، ع : لعله بالنصيف وهو مكيال اي ذلك الكر مكيل بالنصيف .
«٥» في الفرج الدهقنة . «٦» م ، ع : كذا في الاصل ولعله . وتبيعه بطيب الخ .

الى منزلي وما عاد الكوفي بعدها الى واسط ولا أفلح .

حدثني ابو الحسن محمد بن محمد الاهوازي ابن عثمان المعروف بابن المهندس قال كنت أتقلد الضريبة وغيرها من أعمال واسط في هذا الوقت للكوفي فقدم ملاح يقال له ابن شبيب من بغداد في زورق عظيم وكان فيه حديد وخواب فطالبته على ضريبتهما بثمانيــة الف (١) درهم وكسر فالتجأ الى يمك فكتب رقعة وهو غلام سيف الدولة لابن سيف الدولة وكان مقيما بواسط حينئذ اميراً عظيما فكتب الى يمك رقعة يلزمني تخفيف الضريبــة عن الملاح ومقاربته وأنفذ غلاماً من غلمانه فوضعت في نفسي المقاربة لاجله فقلت الملاح عليك ثمانيــة آلاف درهم وكذا وكذا فبكم تحب ان أسامحك لاجل كلام فلان أيده الله قال وكان مجلساً حافلا باهل الاسواق والتجار والمعاملين في الضريبة قال فقال لي الملاح مستفهماً كم عليّ ؟ فقلت ثمانية آلاف درهم وكسر قال فضرط من فمه لي وقال تأخذ مني بميزان قرع وصنج بعر قال فورد عليّ امر عظيم من استخفافــه بي في مجلس العمل وكرهت ان اوقع به ويشرق (٢) الحال بيني وبين يمك مع تمكنه من سيف الدولة وتصير منابذة بيني وبين صاحبي ولا أدري كيف يكون حالي في ذلك . فقلت له اما أنت فاقلّ أن تجـاب عن هذا الـكلام ولكن سأريك امرك كونوا معه . قال فوكلت به جماعة من الرجالة وعبرت في زبزبي (٣) الى الكوفي

«١» م ، ع كذا في الاصل والصواب آلاف . «٢» م ، ع : في الاساس شرق ما بينهم بشر اذا وقع الشر بينهم . «٣» م ، ع : الزبزب نوع من السفن .

فحدثته بالقصة فحين استتم حديثي قال وأي شيء عملت بالملاح ؟ فقلت لم أقدم ان أعمل به شيئاً لاجل عملك وخشيت ان تنكر انت ذلك فقال نفاطين (١) نفاطين وصاح وتغيظ فاحضروا وقال ثلاثين راجلا الساعة فأحضروا فقال اعبروا الى الزورق فاحرقوه بجميع ما فيه من الامتعة الساعة . قال فورد عليّ امر عظيم وندمت على الشكاية فقلت يكفي من هذا أطال الله بقاء سيدنا ضرب الملاح بالمقارع في السوق وان تضعف عليه الضريبة وتستخرجها منه فقال لا والله الا الاحراق قال فاجتهدت به فلم يكن في يدي منه شيء وتوجه النفاطون والرجالة الى الزورق فضربوه بالنار وأقبل الملاح يلطم ويضيح ويقول يا قوم فيه أموال الناس قد افتقروا (٢) وافتقرت ويستغيث بالمسلمين ولا يقدم احد على اعانته وأحرقت قلوس (٣) الزورق التي كانت تربطه وتمسكه وخرج منه الملاحون وطرحوا أنفسهم الى الماء فانحدر مع الماء لنفسه والنار تشتعل فيه فوقع على الجسر فقطعه وانحدر حتى انتهى الى موضع معسكر سيف الدولة (٤) وكان نازلا في الماصر (٥) بواسط والملاح في بكائه (٦) ورآه لا يجسر ان يطفي النار ولا يقدر على (ذلك (٧)) اكثر من

«١» م . ع : النفاطون الرماة بالنفاطة وهي اداة من نحاس يرمى فيها بالنفط والنار . «٢» بالاصل افتقر . «٣» م . ع : القلس حبل السفينة جمعه قلوس .

«٤» لعله ابن . «٥» م . ع : قال في التاج واللسان المأصر حبل يلقى في الماء لمنع السفن عن السير حتى يؤدى ماعليها من حق السلطان في دجلة والفرات . وفي اللسان والمأصر يمد على طريق اونهر تؤصر به السفن والسابلة اي تحبس لتؤخذ منهم العشور.

«٦» بالاصل ركايه . م . ع : كذا في الاصل ولعل الصواب في براكية وراءه والبراكية ضرب من السفن . «٧» م . ع : لا حاجة الى لفظ ذلك .

ان يلطم ويصيح فلما رأى سيف الدولة الصورة استهولها مع صياح الملاح وقوله فيه أموال فاستدعاه وقال ايش فيه فقال فيه مال صاحب البريديين اصدره اليهم صاحبهم من بغداد سرّاً وجعله تحت الحديد قال فأمر سيف الدولة بالزورق فقدم الى الشط وأطفئت النار وقد احترق جوانب الزورق وظلاله (١) واكثر آلته الا الامتعة التي في أسفله فانها كالسالمة فرقى بها الى الشط فأخرج المال فاذا هو ثمانية آلاف دينار عيناً ونيف وستون سيفاً ومنطقة من فضة وبعضها من ذهب فأخذ ذلك وسلم الزورق الى الملاح وشد على يده وعصمه من الكوفي حتى نقض الملاح الزورق وانتفع ببقية خشبه وحديده ووصل التجار الى ما سلم من المتاع .

« للحديث صلة »

«١» لعله اطلاله بالطاء المهملة جمع طلل وهو جل السفينة اي شراعها وجمعه جلول واجلال .

آراء وافكار

كتاب الاكليل للهمداني

ليس فيمن كتبوا عن جزيرة العرب وخططها وجغرافيتها وممالكها ومسالكها من يفضل ابا محمد الحسن بن احمد بن يعقوب بن يوسف الهمداني (بالدال المهملة نسبة الى همدان) فهو صاحب كتاب « صفة جزيرة العرب » الطائر الصيت المنقطع النظير في بابه وصاحب كتاب « الاكليل » المشهور ايضاً والذي تحسر الناس عليه ولا تظفر به ·

وقد كنت في القسطنطينية منذ خمس سنوات فجمعتني الأقدار بحضرة الصديق الشريف علي بن عمر بن هزاع من ابناء عم الملك حسين بن علي وهو أقرب أبناء أعمامه اليه من أشراف مكة · ولما كان الشريف علي بن عمر من الضاربين بسهم في الأدب والمولعين بالاطلاع تذاكرت واياه امر الكتب العربية في الاستانة فقال لي انه اطلع في خزانة جامع بايزيد على كتاب الاكليل للهمداني ·

ولما كان هذا السفر نادر الوجود عزمت ان اذهب مرة مع حضرة الشريف الى خزانة كتب بايزيد حتى نطلع على الاكليل ثم جدّت امور عدلنا عن هذا الامر · وبرحتُ الاستانة على ظن اني راجع اليها فلم يقدر لي الرجوع اليها وفاتني النظر الى كتاب الاكليل ·

ثم قرأت في كلام لسعادة الاخ العلامة شيخ العروبة وفيلسوف الآثار والصحف المكتوبة احمد زكي باشا أمتع الله بطول حياته ان كتاب الاكليل مفقود وانهم بحثوا عنه كثيراً فلم يجدوه حتى هذه الساعة ·

فكتبت الى احمد زكي باشا أذكر له ما رواه لي الشريف علي بن عمر · فجاوبني بانه لا يظن ذلك او قد يكون وقع سوء فهم في المسألة ·

والاستاذ احمد زكي باشا يعرف خزائن الاستانة وقد كان طوّف فيها ونقّب ونسخ واستنسخ وصوّر بالفوتوغرافيا وقيّد واودع ما اودع في كتاخانته ·

فكتبت في العام الماضي الى الاخ الاجل الافضل خالد بك القرقني من عيون أعيان طرابلس الغرب اذ كان في الاستانة واخبرته بالقصة ورجوته ان يقتصّ لي أثر

هذا الكتاب في خزائن الاستانة مبتدئاً ببايزيد حيث كان الشريف علي بن عمر بن هزاع قال لي انه عثر على الاكليل . فجاءني من خالد بك الجواب الآتي أنقله بالحرف :

« أمس (٢٥ مارت سنة ١٩٢٩) مضيت الى مكتبة بايزيد وكان مديرها وجهينة أخبارها غائباً فانتظرته مدة ثلاث ساعات تصفحت خلالها كل الفهرست العائد للكتب العربية ولم أعثر على الاكليل فعند مجيء المدير راجعته فأفادني بما يأتي :

« مسأله‌ده بالان يوق يا كلش واردر » نعم ان حضرة الشريف علي بن عمر اطلع على جزء واحد من هذا الكتاب (وهو الجزء السابع اوالثامن) عند المرحوم شيخ الاسلام حسني افندي قبل خمسة عشر عاماً تقريباً وبعد وفاته اشتراه خالص بك وبعد وفاة هذا الاخير اشترت كتبه مكتبة بايزيد ومن ضمنها هذا الكتاب . وكان بها الى مدة قريبة اذ أمرت حكومة انقرة بنقل هذه الكتب الى مكتبة دار الفنون فهو الآن هناك . وقد توجد النسخة عينها بمكتبة علي اميري افندي والمحتمل ان تكون الأجزاء الاخرى من الاكليل بايطالية من جملة الكتب التي جلبها (غريفيني) من اليمن » .

« وسأوافيك بذيل الخبر بعد اطلاعي على الجزءين ان شاء الله » .

ثم جاءني من الاخ المشار اليه كتاب تال بتاريخ اليوم التالي اي ٢٦ مارت من تلك السنة يقول فيه :

« وُفقت للاطلاع على كتاب الاكليل لابي محمد الحسن بن يعقوب الهمداني بمكتبة دار الفنون تحت نمرة ٦٢٤٢ من كتب خالص افندي في قسم التاريخ منها وذلك بعد فحص طويل ومراجعة مكتبة بايزيد مرةً أخرى .

تصفحت اكثره فوجدته عائداً لأحوال اليمن والتعريف ببلدانها الخاربة وبيان ما وجدوا في مقابرها المنسية من اللؤلؤ والحجارة الكريمة وغيرها من الذخائر . وليس به تاريخ البتة ولا اسم ناسخه ولا فيه مقدمة . بل يستمر في عبارته كما سترى . وهذا يدل على كونه تابعاً لما قبله . يبتدئ بعد البسملة (ليس الا) هكذا :

وعن الشرفي عن محمد بن خالد بن عبد الله القسري قال كنت مع مروان بن محمد فهدم ناحية من تدمر فاذا اساس الحائط رخام طويل فاجتمع قوم فقلبوا الطبق وظن مروان أن فيه كنزاً الخ » ويداوم على هذا النمط في حكاياته عن المدن الغامرة ومانقلته

الرواة عن المقابر القديمة التي تشبه قبور الفراعنة . وقد يذكر عدة بلدان وقصور كانت مشيدة عامرة وبعدها خربت مثل «ناعط» و «غمدان» و «قصرالذيل» و «قصرسحرار» و «بينون» و «ظفار» الخ و يصف كلاً منها و يستشهد بابيات قيلت في حقها مثل :

وقد كان في بينون عزٌ وسؤدد   وفي ناعطٍ ملكٌ قديمٌ ومفخرُ

ومثل :

وأسأل بينون وحيطانها   قد نطقت بالدر والجوهر

(ارى الشطر الاول هكذا غير مستقيم الوزن ولعل هذا من النساخ)

ومثل :

أبعد غمدان لا عينٌ ولا أثرٌ   أبعد بينون يبني الناس بنيانا

وتجد المؤلف بعد نقله لبعض الاخبار المبالغ فيها ينتقد ذلك الكلام و يرجع لتحليل الاشياء وتحكيم العقل والذوق السليم فيها على طريقة ابن خلدون المعلومة . وفي الكتاب عدة قصائد مطولة واشعار بعضها متينة الاسلوب والبناء و يوجد كثير من روايات واشعار وقصائد رجل يقال له علقمة بن ذي الأحدب الاصغر ونسبه هكذا : (من ولد علقمة ذي الاحدب الاكبر بن الحارث بن زيد بن الغوث بن سعد بن شرحبيل بن مالك بن زيد بن شداد بن زرعة بن سبأ الحميري) .

واهم هذه القصائد مرثية يقال انها احدى المراثي السبع . منها :

اكل حبيب ما الحنى مضطجع   والموت لا ينفع فيـه الجزع

والنفس لا يحزنك اتلافهـا   ليس لها من يومها مرتجع

والموت ليس له دافـعٌ   اذا حميم عن حميم دفع

(اوزان مختلفة) وقد تكلم الهمداني عن كتابات موجودة بالخط الحميري وذكر حروف المسند ورسم أشكالها . و بحثه مفيد جداً . ونسخ صورة كتـابة وجدت بجامع صنعا بهذا الخط .

والكتاب يتم وفي آخره قصيدة طويلة جداً للقاضي العـالم علي بن احمد الموسحي الحيـاري . وهي تسمى بذات الاصولـ جواباً للامير عز الدين محمد بن امير المؤمنين المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان رحمه الله تعالى . أولها :

نفى طيبَ النوم الاسى المتأوِّبُ ووجدٌ مقيمٌ في الحشى ليس يذهبُ
عشية ودّعت الاحبـة للنوى و بانوا وحبّـات القلوب تأوَّبُ

وآخرها :

حميتُ به أحساب قومي ولم ازل أدافع عن اعراضهم وأذبّب
اذا امتهنت اعراض قوم اذاتهِ فاني عليهم مشفقٌ متحدبُ
ومازال من قومي عروشٌ مصونةٌ وبكرٌ تبذُّ القائلين وثيّبُ
اذا رويت كادت من الغيظ انفسٌ تغص وكاد الحلم عنهن يعزب

وقد تجد التنقيط ناقصاً في اكثر الكتاب ، وتجد غلطات من الناسخ .

وبعد هـذه القصيدة يتم الكتاب بجملة « تم هذا الكتاب » وليس هنـاك تاريخ ولا شيء آخر كما ذكرت لك آنفاً .

ثم اني مشيت الى مكتبة المرحوم علي أميري افندي لأطلع على النسخة التي هنـاك من الاكليل وأعرف هل هي عين هذه ام لا فقال لي خازنها انه يعلم وجود كتاب الاكليل بهـا ولكن فهرست الكتب العربية ارسلت الى المجلد ولا تعود الا بعد اسبوع والخازن لايمكنه ان يهتدي الى الكتاب الا بعد الاطلاع على النمرة . وأفادني ايضاً انه سمع من المرحوم علي اميري افندي ان لهذا الكتاب أجزاء أخرى في اليمن وقد اجتهد في اقتنائها فلم يوفق .

سأرجع بعد اسبوع للاطلاع عليه ان شاء الله وافيدك » . انتهى كلام السيد خالد القرقني .

قلت فأما كتاب « صفة جزيرة العرب » للمؤلف المذكور فلم نطلع منه الا على الجزء الثاني مطبوعاً في مدينة «ليدن» بمطبع بريل سنة ١٨٨٤ وليست لهذا الجزء مقدمة بل اوله هكذا : بعد البسملة : « معرفة أفضل البلاد المعمورة . افضل البـلاد المعمورة من شق الارض الشمالي الى الجزيرة الكبرى وهي الجزيرة التي يسميها بطليموس ما رُوي تقطع على اربعة أقاليم من عمران الشمال الى الخامس فجنوبيها اليمن وشماليها الشام وغربيها شرم أيلة وما طردته من السواحل الى القلزم وفسطاط مصر وشرقيهـا عمان الى البحرين وكاظمة والبصرة وموسطها الحجاز وارض نجد والعروض وتسمى جزيرة العرب لان

اللسان العربي في كلها شائع وان تفاضل الخ » . وفي آخر الجزء المذكور أرجوزة عن طريق الحج من اليمن الى مكة يسردها وبتمامها يتم الكتاب و يقول : كملت الارجوزة وكمل بكمالها كتاب جزيرة العرب والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد خاتم النبيين وآله وصحبه الطاهرين وسلام » ولاتاريخ ولا شيء يشبهه . ثم يذكر المعلم داود هنريك موللير أستاذ الالسن الشرقية في دار الفنون في مدينة ويانا انه طابع هذا الكتاب وتم طبعه في سلخ شهر ايار سنة ١٨٨٤ .

وسننقل من « صفة جزيرة العرب » للهمداني بعض شواهد الى رحلتنا الحجازية المسماة « بالارتسامات اللطاف في خاطر الحاج الى أقدس مطاف » ولكننا نجد معلوماتنا عن الهمداني هذا وكتبه قاصرة . فهل يفيدنا الاخ الاستاذ احمد زكي باشا في هذا الموضوع ما نشفي به الغليل ؟ فان تفضل بشيء فهي عادته .

لوزان : شكيب ارسلان

عضو المجمع العلمي العربي

(المجمع) بعدورود الرسالةالمنشورة اعلاه جاءمن صاحبهاالامير الكتابالآتي نصه :

ايضاً كتاب الاكليل

سهوت في رسالتي الماضية الى هذه المجلة عن ان انشر ما كتبه اليّ حضرة الشريف علي بن عمر من استانبول جواباً على سؤالي اياه بشأن كتاب الاكليل للهمداني فها اناذا الآن فاعل ان شاء الله .

قال بعد الترجمة :

. . . .

. . . .

. . . . | فاما استفساركم عن كتاب الاكليل للهمداني فالذي كنت رأيته واخبرتكم به هو المجلد الثامن من الاكليل للهمداني وهذا الكتاب الآن نقلوه من مكتبة بايزيد العمومية الى مكتبة دار الفنون ونسخة أخرى من المجلد بعينه موجودة في مكتبة المرحوم علي اميري افندي في الاستانة

ونسخة أخرى في مكتبة برلين عندكم ونسخة في ايتاليا بين كتب غريفيني ولعل الثي هناك نسخة تامة جامعة لسائر الاجزاء لولوع الطاليان بكتب اليمن كما يسمع .

هذا ما عندنا من العلم بهذا الشأن فالسلام في البدء والختام انتهى .

وفي اول مرة اذهب فيها الى برلين سأفحص عن الكتاب في خزانة كتبها كما اني في اول مرة اذهب فيها الى رومة سأسأل عن كتب غريفيني هذا لعل اليد تظفر بكتاب الاكليل كاملاً . وقد كتبت الى العلامة الشريف عبد الرحمن بن زيدان نقيب العلوية والعائلة السلطانية بمكناس أسأله هل يعلمون شيئاً عن هذا الكتاب في المغرب لان الشريف المشار اليه من العلماء المحققين وعنده خزانة كتب نادرة المثال وسنرى ما يكون من جوابه .

لوزان : شكيب أرسلان





مطبوعات حديثة

كتاب التيجان

« في ملوك حمير عن وهب بن منبه »

الطبعة الاولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية الكائنة في الهند بمملكة حيدر آباد الدكن سنة ١٣٤٧ هجرية ص ٣١٠

و يليه

اخبار عَبيد بن شَريَة الجرهمي

« في اخبار اليمن واشعارها وانسابها »

وهو في ١٨٢ ص طبعت في حيدر آباد الدكن ايضاً

نشر هذين الكتابين كأنهما كتاب واحد لتناسبهما في الموضوع — صديقنا العلامة السيد كرنكو من كبار علماء المشرقيات المستعربين عن نسخة محفوظة في المتحف البريطاني كتبت بخط علي بن سعيد بن محمد بن هاجر القملاني سنة ١٠٣١ هـ وقال كاتب الاصل ان الفراغ كان من نسخها سنة ١٠٣٤ بخط مطهر بن عبد الرحمن بن المطهر بن الامام شرف الدين في الدار الحمراء بصنعاء اليمن وهذه النسخة منقولة من نسخة محفوظة في المكتبة الآصفية بحيدرآباد الدكن وعورضت بنسخة اقدم منها محفوظة في المكتبة العمومية في برلين . والكتابان في اخبار اليمن قبل الاسلام وبعده بقليل . وفيهما من اخبار ذاك القطر منه ما نقل في كتب أخرى ومنه مالم يعثر عليه الى اليوم . ووهب بن منبه كانت له معرفة باخبار الاوائل وقيام الدول توفي في صنعاء اليمن في سنة عشر وقيل اربع عشرة وقيل ست عشرة ومائة . وكتاب التيجان رآه ابن خلكان في عصره قال « ورأيت له (لوهب بن منبه) تصنيفاً ترجمه بذكر الملوك المتوجة من حمير واخبارهم وقصصهم وقبورهم واشعارهم في مجلد واحد وهو من الكتب المفيدة » وكتاب التيجان هذا نفس كتاب الملوك المتوجة من حمير . ووهب بن منبه كثيراً ما كان يعزو العلماء بعض الشك في مروياته لاكثاره . فما نقله له صاحب الطبقات الكبير قوله : لقد قرأت اثنين وتسعين

كتاباً كلها أنزلت من السماء اثنان وسبعون منها في الكنائس وفي ايدي الناس وعشرون لايعلمها الا قليل وجدتُ في كلها انه من أضاف الى نفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر . »
وفي مقدمة كتاب التيجان قرأت ثلاثة وتسعين كتاباً مماأنزل الله على الانبياء فوجدت فيها ان الكتب التي أنزلها الله على جميع النبيين مائة كتاب وثلاثة وستون كتاباً أنزل صحيفتين على آدم بكتابين صحيفة في الجنة وصحيفة على جبل لبنان وعلى شيث بن آدم خمسين صحيفة وعلى اخنوخ وهو ادريس ثلاثين صحيفة وعلى نوح صحيفتين وعلى ابراهيم عشرين صحيفة وعلى موسى خمسين صحيفة وهي الالواح . قال الله : (ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى) وعلى داود الزبور وعلى عيسى الانجيل وعلى محمد الفرقان . . »
وقال في مكان آخر (ص ٢٠) وقد ذكر الله صحف شيث وغيرهما من الصحف فقال : (رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة فيها كتب قيمة .) وقال : (اولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى) . ووهب من علماء التابعين وهو من الابناء ابناء فارس المبعوثين مع سيف بن ذي يزن لقتال الحبشة في اليمن فهو فارسي الاصل واسع الخيال . ومن الفرس من وضعوا الاخبار في الاسلام عمداً او اتوا ذلك عن نية حسنة اعتقدوها .

وكتاب التيجان هو رواية ابي محمد عبد الملك بن هشام عن اسد بن موسى عن ابي ادريس بن سنان عن جده لامه وهب بن منبه بدأه باحوال خلق العالم ونسب ولد سام وحام ويافث وملك حمير ووائل والسكسك ويعفر وعامر ذي رياس والمعافر بن شداد وشداد بن عاد ولقمان بن عاد والهمال بن عاد والحارث بن الهمال والصعب ذي القرنين وابرهة والعبد بن ابرهة وعمرو بن ابرهة وشرحبيل والد وهب ومُلك بلقيس وملك رحبعم ابن سليمان ومالك بن عمرو بن يعفر وعمرو بن الحارث بن مصاص وشمر يرعش بن ناشر النعم وتبع صيفي وعمرو بن عامر مزيقيا ملك متوج تبع وعمرو بن جفنة اول من تتوج من ملوك غسان بالشام وربيعة بن نصر بن مالك متوج باليمن بين اضعاف التبابعة وقصة النار التي كانت تعبدها حمير الى آخر من ذكر من الملوك المتوجين فوافق اسم الكتاب مسماه . وكتاب الملوك المتوجة او التيجان من صحف الادب القديم بما ذكر فيه من الشعراء والاخبار .

اما كتاب اخبار عبيد بن شرية الجرهمي فهو من أقدم الكتب في الاسلام وبطبعه حلت اشكالات كثيرة في اصل التدوين في الامة . وكان عبيد بن شرية من المعمَّرين

من اهل اليمن وفد على معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه في الشام وهو آية باهرة في معرفة تاريخ اليمن وملوك العرب والعجم يرويها مشفوعة بالقصائد الرنانة « وامر معاوية كتّابه انْ يدونوا ما يتحدث به عبيد بن شرية في كل مجلس سمر فيه مع معاوية » (ص ٣١٤) فعبيد بن شرية راوية والمدوّنون كتّاب معاوية . وقد كان هذا يعجب بما يلقيه عليه عبيد في كل مجلس و يستزيده من ايراد الشعر لان الشعر كما قال معاوية (ص ٣٥٢) ديوان العرب والدليل على أحاديثها وأفعالها والحاكم بينهم في الجاهلية . وذكر عبيد اونقل عنه حديث هلاك عاد وثمود وجرهم وخروجهم من اليمن الى الحرم وناشر النعم بن عمرو بن يعفر بن عمرو ، وشمر يرعش بن افريقيس بن ابرهة بن الرائش وتبع الاقرن وهو ذو القرنين وملكي كرب بن اسعد بن تبع الاكبر واسعد ابو كرب الاوسط . وكل ذلك بلغة سلسة وشعر رائق خال من تكلف المحدثين فهو شعر الفطرة الاولى بل هو نموذج صالح من شعر الجاهلية نُقل في الصدور قبل البعث الى السطور أوائل المئة الاولى للاسلام.

وعلى الجملة فان هذين الكتابين النيجان لوهب بن منبه واخبار اليمن لعبيد بن شرية من أهم الاسفار المفيدة التي نشرت بالطبع في العهد الاخير فجلت شبهات في موضوعات كثيرة وأبرزت لنا صورة كانت متوارية وراء حجاب من أخبار الجاهلية .

لا جرم ان الباحثين يسقطون في هذين السفرين على مسائل كثيرة يستنجون و يستقرؤون فيستفيدون و يفيدون . م . ك

دانتي اليجييري

« للسيد طه فوزي طبع بمطبعة الاعتماد بمصر ١٣٤٨ — ١٩٣٠ ص ١٥٠ »

صاحب هذا الكتاب ممن يحسنون اللغة الايطالية وقد درس في هذه الرسالة حياة دانتي شاعر الطليان وواضع اصول لغتهم ثم لخص قصصه ولاسيما قصة المهزلة المقدسة التي قسمها الى ثلاثة أقسام « الجحيم » و « الاعراف اوالمطهر » و « الجنـة » باسلوب يحبب تلاوتها الى القلوب وتدل على تشبعه بروح موضوعه وروح اللغتين اللتين ينقل من الاولى الى الاخرى . م . ك